تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلبَابِ
بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإِسْلَامِيةِ بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

أُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلِيَا
بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ والمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ- بـ" مِنِيسُوتَا "

الرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِيةِ

-١٤٤٢هـ-

من إصدارات

https://taaselcenter.com
arafatantawy1440@gmail.com
+966503722153

موسوعة تأصيل علوم التنزيل

(٢٨)

تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ

(بحث محكم - ومقرر دراسي للدراسات العليا)

كَتَبَهُ

الفَقِيرُ إلى عَفْوِ رَبِّهِ البَارِي

عرفة بن طنطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِّرَاسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ

وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا

بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَعْهَدِ العَالِي لِلأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ بِمِينِيسُوتَا

وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيَّةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيَّةِ

١٤٤٢ هـ

مجلة البحوث الإسلامية

Journal of Islamic Research

إصدار علمي متخصص جامعي محكم

Scholarly Academic Refereed Bulletin
Concerned With Scholarly Research

الرقـــــم: ٧/٣٢٨١

التـــاريخ: ١٤٤٢/١١/١٤هـ

المرفقات: --.

إلى من يهمه الأمر

يرجى التكرم بالعلم بأن البحث المقدم من:

الدكتور / عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ.

عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإِسْلَامِيةِ بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ، وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرآنِ لِلدِّرَاسَاتِ الْعُلِيَا، وَالرَّئِيسُ العَامُ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرآنِيةِ.

وعنوانه: (تَبصِرَةُ أُولِي الأَلبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ).

قد ورد إلى هيئة الإصدار وخضع للتحكيم العلمي المتخصص، وأجيز للنشر بأحد أعداد المجلة وقد نشر بالعدد السبعين، الذي صدر في شهر ذي القعدة ١٤٤٢هـ، هذا وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مؤسس الإصدار ورئيس التحرير

أ. د. عبد الفتاح محمود إدريس

رقم إيداع المجلة بدار الكتب المصرية (٢٠١٥/٢٤٢٦٠) - الترقيم الدولي الموحد لها: (ISSN. ٢٥٣٦ - ٩٣١٨)

http://www.journalofislamicresearch.com

جمهورية مصر العربية، القاهرة، مساكن مدينة نصر، رمز بريدي: ١١٣٧١، ص. ب: ٨١٣١

Arab Republic of Egypt- Cairo, Housing of Nasr City, Post code: ١١٣٧١- P.O.Box, ٨١٣١

Tel: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠ –Mob: ٠٠٢/ ٠١٠٠٣٨٥٠٢٤٧ :Fax: ٠٠٢٠٢ / ٢٣٢٧٤٠٢٠

E-mail :dr.edris@hotmail.com

دِيْبَاجَةُ البَحْثِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ تَبْصِرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَأَوْدَعَهُ مِنْ فُنُونِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ الْعَجَبَ الْعُجَابَ وَجَعَلَهُ أَجَلَّ الْكُتُبِ قَدْرًا وَأَغْزَرَهَا عِلْمًا وَأَعْذَبَهَا نَظْمًا وَأَبْلَغَهَا فِي الْخِطَابِ، قرآنا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ منزل غير مخلوق، لا شُبْهَةَ فِيهِ وَلَا ارْتِيَابَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ الأرباب، الذي عنت لقيوميته الوجوه وَخَضَعَتْ لِعَظَمَتِهِ الرِّقَابُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ مِنْ أَكْرَمِ الشُّعُوبِ وَأَشْرَفِ الشِّعَابِ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ بِأَفْضَلِ كِتَابٍ الْأَنْجَابِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ.

وَبَعْدُ فَإِنَّ الْعِلْمَ بَحْرٌ زَخَّارٌ، لَا يُدْرَكُ لَهُ مِنْ قَرَارٍ، وَطَوْدٌ شَامِخٌ لَا يُسْلَكُ إِلَى قُنَّتِهِ وَلَا يُصَارُ، مَنْ أَرَادَ السَّبِيلَ إِلَى اسْتِقْصَائِهِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى ذَلِكَ وُصُولًا، وَمَنْ رَامَ الْوُصُولَ إِلَى إِحْصَائِهِ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِخَلْقِهِ: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (الإسراء:٨٥).

وَإِنَّ كِتَابَنَا الْقُرْآنَ لَهُوَ مُفَجِّرُ الْعُلُومِ وَمَنْبَعُهَا وَدَائِرَةُ شَمْسِهَا وَمَطْلَعُهَا، أَوْدَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمَ كل شيء، وأبان فيه كُلَّ هَدْيٍ وَغَيٍّ، فَتَرَى كُلَّ ذِي فَنٍّ مِنْهُ يَسْتَمِدُّ وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ، فَالْفَقِيهُ يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الْأَحْكَامَ وَيَسْتَخْرِجُ حُكْمَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

وَالنَّحْوِيُّ يَبْنِي مِنْهُ قَوَاعِدَ إِعْرَابِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ خَطَأِ الْقَوْلِ مِنْ صَوَابِهِ.

وَالْبَيَانِيُّ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى حُسْنِ النِّظَامِ وَيَعْتَبِرُ مَسَالِكَ الْبَلَاغَةِ فِي صَوْغِ الْكَلَامِ.

وَفِيهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ مَا يُذَكِّرُ أُولِي الْأَبْصَارِ، وَمِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ مَا يَزْدَجِرُ بِهِ أُولُو الْفِكْرِ وَالِاعْتِبَارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومٍ لَا يُقَدِّرُ قَدْرَهَا إِلَّا مَنْ عَلِمَ حَصْرَهَا، هَذَا مَعَ فَصَاحَةِ لَفْظٍ وَبَلَاغَةِ أُسْلُوبٍ تَبْهَرُ الْعُقُولَ وَتَسْلُبُ الْقُلُوبَ وَإِعْجَازُ نَظْمٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ. (١)

وإنَّ للقرآن الكريم مكانة لا تدانيها مكانة وقدر لا يدانيه قدر، فهو خاتم الكتب المنزلة، وهو أجلّها وأفضلها وأعظمها، وإنَّ كانت كلها من عند الله إلا أنَّ القرآن جاء ناسِخًا لِهَا كلها ومُهَيمِنًا عليها، فأجلى اللهُ به عن البصائر ما غشاها من تيه وضلال وعمى، وأخرج الله به البشرية من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن جَهالة وضلال الجاهلية إلى شرف الانتماء للإسلام، وقطع الله به دابِرَ القوم الظالمين، وقد ضمَّنَه تبارك وتعالى جَميعَ ما يُصلِح حياةَ البشر في معاشها ومعادها، كما صانه سبحانه من التحريف والتبديل والتغيير، وتكفَّل سبحانه بِحِفظه بذاته العلية، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يدَيْه ولا من خلفه، ولا يعتريه أي نَّقص، ولا يشوبه أي خطأ ولا خلل، وجَلَّ الله أن يكون كلامه كلام بشَر كما زعم الْمُبطِلون، بل هو كلام الله تعالى حقيقة- حرفًا وصوتًا ولفظًا ومعنىً-، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩)

١- يُنظر: مقدمة الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/١٥-١٦). بتصرف يسير

قال الإمام الطحاوي(ت: ٣٢١هـ) – رحمه الله–:

" وإنّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذَمَّه الله وعَابَهُ وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ (المدثر:٢٦)، فلما أَوْعَدَ بِسَقَر لمن قال ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر:٢٥) عَلِمْنَا وأيْقَنَّا أنه قولَ خالقِ البَشَر ولا يُشْبِه قول البشر". (٢)

فالقرآن الكريم ـ الذي هو كلامُ الله ووحيُه وتنزيلُه ـ غيرُ مخلوقٍ، مُعْجِزٌ في نَظْمِه، لا يُشْبِهُه شيءٌ مِن كلام المربوبين، ولا يقدر على مِثْلِه أحَدٌ مِن المخلوقين، "الذي في مَصاحِفِ المسلمين، لم يَفُتْ منه شيءٌ، ولم يَضِعْ بنسيانِ ناسٍ، ولا ضلالِ صحيفةٍ، ولا موتِ قارئ، ولا كتمانِ كاتمٍ، ولم يُحَرَّفْ منه شيءٌ، ولم يُزَدْ فيه حرفٌ، ولم يُنْقَصْ منه حرفٌ، كُلُّه حقٌّ مِن عندِ الله، ولو كذَّب به أعداءُ الرُّسُل (٣)

مِن الكُفَّار والمشْرِكين والمُلْحِدين ومَن سارَ على نهجِهم مِن الفلاسفة وأهلِ الأهواء". (٤)

فما تقولون في فضل كتاب أنقذ الله به أمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأوثان والحجارة، وديدنهم توارث العداوات والأحقاد، لا تعرف من الحق رسمًا. نحلتها ما وجدت عليه آباءها, وما استحسنته أسلافها, من آراء منحرفة، ونحل مخترعة، وملل مبتدعة، فأنزل الله عليهم هذا الكتاب فأنقذهم منها به، وانتشلهم به من أوحالها.

ما تقولون في فضل كتاب ختم الله به الكتب، وأنزل على نبي ختم به الأنبياء، وبدين ختمت به الأديان.(٥)

ما تقولون في فضل كتاب فتحت به أمصار، وجثت عنده الركب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون, والراكعون, والساجدون.

ذلكم القرآن الكريم: كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه". (٦)

٢– شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العزّ: (ص: ٧٩). شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: ١.

٣– شُعَب الإيمان للبيهقي (١ /٣٢٦).

٤– يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العزّ: (٣٣٣).

٥–عبارة "الأديان السماوية" يستعاض عنها بكلمة الشرائع السماوية، وذلك لأن الدين واحد لا يتعدد كما قال ربنا: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..) (آل عمران: من آية:١٩). وقال الله تعالى:

(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة:١٣٦) ..ووصف الله إبراهيم بأنه (كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).(آل عمران:٦٧). ولعلها سبق قلم من الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى. الباحث.

٦–الموافقات للشاطبي(٣/٣٤٦). ويُنظر: عرفة بن طنطاوي، مقدمة كتاب: الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ: (د ت).

أما بعد

فهذا بحثٌ علميٌ منهجيٌ تأصيليٌ مختصر امتن به الرب الكريم على عبده الضعيف الفقير، وقد تناول فيه الباحث دارسة فاتحة الكتاب دراسة "تحليليةٍ موضوعيةٍ- مختصرة" وقربه من طالبيه بأسلوب سهل وعبارة قريبة التناول من راغبيه، ونظَّمَهُ ليغني المبتدئ ولا يستغني عنها الباحث والمنتهي، راجيًا أن تكون تلك الدراسة وافية بالغرض من غير إخلال، مصاحبة لإظهار معانيها ومقاصدها ومراميها وما حوته من كمال وجمال وجلال من غير إعلال.

ملخص البحث

هذا بحثٌ علميٌ منهجيٌ تأصيليٌ يتناول فيه الباحثُ موضوعًا من أعظم وأجلِّ مواضيع البحث العلمي المتعلقة بكتاب الله الكريم، حيث يتناول فيه معانيَ فاتحةِ الكتابِ المجيدِ بدراسةٍ "تحليليةٍ موضوعيةٍ – مختصرة" مراعيًا فيها الاختصار غير المخل، متجنبًا التطويل الممل، راجيًا تقريب معانيها لعموم المسلمين ليعم فهمها وينتشر فضلها ويتم نفعها.

Research Summary

This is a knowledge-based methodological paper in which the author discusses one of the most important points regarding the Book of Allah; the meanings of Surah al-Fatiha. It is a brief, yet comprehensive, analytical analysis. The author hopes to simplify the meanings of Surah al-Fatiha for the general laymen Muslims so it's understanding, virtues, and benefits will be well known and spread far and wide.

خطة البحث

وقد ضمَّن الباحثُ بحثَه خطة بحث مكونة من فصلين، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيَّن فيه ما يلي:

أولًا: أهمية موضوع البحث

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

رابعًا: أهداف البحث

خامسًا: منهج البحث

سادسًا: أبرز النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة وتوصيات البحث وخاتمته.

سابعًا: مجموع الفهارس

وخطة البحث تشتمل على فصلين على النحو التالي:

الفصل الأول

بين يدي السورة الكريمة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أحكام تتعلق بالسورة الكريمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستعاذة وأحكامها

المطلب الثاني: البسملة وأحكامها

المطلب الثالث: التأمين بعد الفاتحة وأحكامه

المبحث الثاني: أسماء السورة الكريمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها: وسبب تسميتها بـ"سورة الفاتحة"

المطلب الثاني: معنى الفاتحة

المطلب الثالث: ما ثبت للسورة الكريمة من أسماء

المبحث الثالث: عدد آياتها وكلماتها وحروفها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: عدد آياتها

المطلب الثاني: عدد كلماتها

المطلب الثالث: عدد حروفها

المبحث الرابع: أبرز موضوعات السورة الكريمة وبيان معناها الإجمالي وما يتعلق بنزولها وفضائلها

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان محور مواضيع السورة إجمالًا

المطلب الثاني: بيان محور مواضيع السورة تفصيلًا

المطلب الثالث: بيان المعنى الإجمالي للسورة

المطلب الرابع: بيان بعض ما ورد في زمن وسبب نزولها

المطلب الخامس: بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها

الفصل الثاني

المناسبات في السورة الكريمة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسور الفاتحة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: علاقة إعجاز القرآن وبلاغته بعلم المناسبات

المطلب الثاني: مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: فوائد وثمار معرفة علم المناسبات

المطلب الرابع: موقف العلماء من علم المناسبات

المطلب الخامس: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة

المبحث الثاني: مناسبة سورة الفاتحة مع تاليتها وبيان أوجه المناسبة بين السورتين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المناسبة بينهما في مطلع السورتين

المطلب الثاني: التناسب العام بين محتوى السورتين الكريمتين

المبحث الثالث: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة في مطلع السورة

المطلب الثاني: مناسبة قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) ﴾ بالآية السابقة لها وهي قوله: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢)):

المطلب الثالث: مناسبة قوله:﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣)﴾:

المطلب الرابع: مناسبة قوله:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٤)﴾.

المطلب الخامس: مناسبة قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب السادس: مناسبة قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾:

المبحث الرابع: علاقة السورة الكريمة بالسور المفتتحة بالحمد لله

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: ترتيب السور المفتتحة بالحمد لله على ضوء ترتيبها في المصحف

المطلب الثاني: بيان بعض أوجه المناسبة بين السور المفتتحة بالحمد

المطلب الثالث: العلاقة الخاصة بين الفاتحة وبين كل سورة من تلك السور المفتتحة بالحمد

أولًا: أهمية موضوع البحث

تأتي أهمية تناول موضوع هذا البحث بتلك الدراسة لبيان مقاصد عظيمة من أجلها ما يلي:

١- بيان مكانة القرآن الكريم وعظمته وعلو قدره عمومًا، وبيان مكانة وفضل وعظم وقدر أفضل سورة فيه، ألا وهي فاتحة الكتاب خصوصًا.

٢- بيان عظم وقدر ما اشتملت عليه السورة الكريمة من تقرير أعظم وأجل قضية ألا وهي قضية التوحيد.

٣- بيان المقاصد العامة للسورة الكريمة وشموليتها، وإيضاح ما قررته من قضايا كلية (عقدية وتعبدية وتربوية).

٤- بيان الوحدة الموضوعية في السورة الكريمة وذكر المناسبات بين آياتها

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها

الدراسة الأولى: معالم التوحيد في فاتحة الكتاب

معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة "تحليلية موضوعية"، رسالة دكتوراه، المؤلف/ عرفة بن طنطاوي، وهي أطروحة علمية نال بها الباحث درجة "الدكتوراه" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات. الناشر: دار المأثور، المدينة النبوية، تاريخ النشر: ١٤٤١هـ، عدد الصفحات: ٥٥٠صفحة، عدد المجلدات: ١.

وصف الدراسة:

١- برهن الباحث فيه على أ ن أعظم قضية ورد تناولها في كتاب الله عمومًا وفي فاتحته خصوصًا هي قضية التوحيد:

٢- تناول الباحث دراسة أهم الأغراض التي حوتها السورة الكريمة على وجه العموم وعلى وجه الخصوص، وأفرد كل منهما ببحث مستقل ليتسنى للقارئ الكريم فهم ما حوته السورة من موضوعات جملة وتفصيلًا..

٣- تناول الباحث بيان المعنى الإجمالي للسورة باختصار غير مخل مقربًا لمعانيها مبينًا لأبرز مقاصدها وأجل مراميها وذلك في ضوء كلام أئمة التفسير وسادات التحبير والتأويل ونقل أهم أقوال العلماء المتقدمين منهم والمتأخرين.

٤-تناول الباحث بحثه بأسلوب سهل قريب المأخذ مقربًا معانيها لعموم المسلمين ليعم فهمها وينتشر فضلها ويتم نفعها، كما وجه أنظار المسلمين عمومًا والباحثين والدارسين خصوصًا لعظم شأن السورة وما حوته وتضمنته من قضايا ومباحث، ترغيبًا وحثًا لهم على التنقيب والبحث والمدارسة لمعانيها لإبراز مقاصدها وأهم مراميها.

٥- أفرد الباحث للمناسبات في السورة الكريمة بحثًا مستقلًا مدللًا بذلك على العلاقة الوطيدة بين علم المناسبات وإعجاز القرآن.

الدراسة الثانية: سورة الفاتحة في ضوء عبادة الدعاء تفسير موضوعي

سورة الفاتحة في ضوء عبادة الدعاء تفسير موضوعي، المؤلف/ كريم المصنف – مدينة مكناس، شمال شرق المملكة المغربية، تاريخ النشر: ٢٠١٨/٩/١٩م، عدد الصفحات: ٦٤.

وصف الدراسة:

١- ركز الباحث على التنبيه على الدعاء الذي هو أحد وجوه معاني سورة الفاتحة

٢- بين الباحث العلاقة بين فاتحة الكتاب باعتبارها دعاء وبين فواتح سورة البقرة باعتبارها استجابة لهذا الدعاء، ثم انتقل لبيان العلاقة بين فاتحة الكتاب وختمه بالمعوذتين.

٣- بين الباحث الحكمة من البدء بفاتحة الكتاب بعد ختم تلاوته كما دأب على ذلك المتقدمين.

٤- وذكر الباحث فائدة افتتاح سورة البقرة بـ (آلم) وغيرها من الفوائد المتعلقة بالمعوذتين وفواتح سورة البقرة.

٥- ثم بين أن البدء بالتأمل في فقه عمل قراء السلف في ختم المصحف وافتتاحه من سورة الفاتحة إلى قوله: ﴿ المفلحون ﴾ في سورة البقرة.

وأما المنتهى فبتأويل الفاتحة إلى: ﴿ المفلحون ﴾ في ضوء فقه عبادة الدعاء، وذلك لإظهار مدى تناسب الختم والبدء في القرآن العظيم.

وكان يجب على المؤلف أن يسوق أدلة صحيحة ثابت تدلل على ما ذهب إليه. (٧)

---

٧ -وقد اختلف العلماء في حكم ما يعتاده كثير من القراء عند ختم المصحف من الشروع في ختمة جديدة، وذلك بالرجوع إلى سورة الفاتحة وقراءتها مع الآيات الخمس الأول من سورة البقرة فقط، **فكان خلافهم على قولين اثنين:**

القول الأول: مشروعية ذلك العمل، واستحبابه. وهو ما ذهب إليه القراء ونص عليه بعض العلماء،

واستُدِل لهذا القول بأدلة، منها:

الدليل الأول: حديث عن عبد الله بن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان إذا قرأ: (قل أعوذ برب الناس) افتتح من الحمد، ثم قرأ من البقرة إلى: (وأولئك هم المفلحون)، ثم دعاء بدعاء الختمة، ثم قام.

رواه الدارمي – كما عزاه إليه السيوطي في " الإتقان " (٢٩٥/١) وقال بسند حسن -، والحافظ أبو عمرو الداني، والحافظ أبو العلاء الهمذاني – كما نقل عنهما ابن الجزري في " النشر " (٦٨٨-٦٩٤)، والحسن بن علي الجوهري في " فوائد منتقاة " (٢٩/٢)، جميعهم من طريق:

العباس بن أحمد البرتي، ثنا عبد الوهاب بن فليح المكي، ثنا عبد الملك بن عبد الله بن شعوة، عن خاله وهب بن زمعة بن صالح، عن زمعة بن صالح، عن عبد الله بن كثير، عن درباس مولى ابن عباس وعن مجاهد، عن عبد الله بن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم به.

قال الشيخ الألباني(ت: ١٤٢٠هـ) **– رحمه الله –:** هذا إسناد ضعيف ؛ وله علتان:

الأولى: أن مداره على زمعة بن صالح، قال الذهبي في " الكاشف ": " ضعفه أحمد، قرنه مسلم بآخر ". وقال الحافظ في "التقريب": " ضعيف، وحديثه عند مسلم مقرون" .

والأخرى: الاضطراب في إسناده عليه على وجهين: **الأول:** هذا: عن درباس وعن مجاهد ؛ قرنه معه.

الثاني: عن درباس وحده ؛ لم يذكر مجاهداً معه. وقد ساق ابن الجزري في "النشر" (٢/ ٤٢٠ – ٤٢٥) الأسانيد بذلك. وفي رواية له عن وهب بن زمعة بن صالح عن عبدالله بن كثير عن درباس عن عبدالله بن عباس... به مرفوعًا؛ لم يذكر في إسناده زمعة.

وقال عَقِبَه: "حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده حسن؛ إلا أن الحافظ أبا الشيخ الأصبهاني وأبا بكر الزينبي روياه عن وهب عن أبيه زمعة...، وهو الصواب" .

شبكة الألوكة www.alukah.net

فأقول: هذا التصويب صواب؛ لأنه عليه أكثر الروايات، وعليه فلا وجه لتحسين إسناده؛ لأن مداره على – زمعة بن صالح الضعيف – كما تقدم– .

وكيف يكون حسنًا وفيه درباس مولى ابن عباس، وَهُوَ مَجْهُولٌ – كما قال أبو حاتم، وتبعه الذهبي والعسقلاني – ؟! نعم قد قُرِنَ به مجاهد في بعض الروايات – كما في رواية الجوهري وغيره –، فإن كان محفوظًا؛ فالعلة واحدة وهي زمعة. والله أعلم " انتهى .السلسلة الضعيفة " (رقم/٦١٣٤)

الدليل الثاني: حديث مرفوع جاء فيه:

(قال رجل: يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ؟ قَالَ: الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ. قَالَ: وَمَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ ؟ قَالَ: الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ ارْتَحَلَ).

وقد روي هذا الحديث على وجهين:

١– مسندا متصلًا: من طريق صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن ابن عباس به. رواه عن صالح المري على هذا الوجه الهيثم بن الربيع –كما عند الترمذي (رقم/٢٩٤٨) –، وعمرو بن عاصم –كما عند البزار (٢١٣/٢)–، وعاصم الكلابي، وعمرو بن مرزوق، وزيد بن الحباب في " المستدرك " (٧٥٧/١)، وإبراهيم بن أبي سويد الذارع –كما في " معجم الطبراني " (١٦٨/١٢).

٢– مرسلا من طريق صالح المري، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن النبي صلى الله عليه وسلم، من غير ذكر ابن عباس. رواه عن صالح المري على هذا الوجه مسلم بن إبراهيم، كما عند الترمذي (رقم/٢٩٤٨). وإسحاق بن عيسى –كما عند الدارمي (٥٦٠/٢) –، وعبد الله بن معاوية الجمحي –كما في " النشر " لابن الجزري (ص/٦٩٩)–، وقد رجح الترمذي رواية من أرسله فقال:

" هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي...وهذا – يعني المرسل – عندي أصح من حديث نصر بن علي عن الهيثم بن الربيع " انتهى.

وله شاهد مرفوع من حديث أبي هريرة يرويه الحاكم في " المستدرك " (٧٥٨/١) وفيه مقدام بن داود ضعيف الحديث، انظر: " لسان الميزان " (٨٤/٦)، وله شاهد آخر من رواية زيد بن أسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا، أسنده أبو عمرو الداني –كما في " النشر " (ص/٧٠٠)–

وقد ضعف هذا الحديث جمع من أهل العلم، منهم: راويه الإمام الترمذي، والحافظ ابن حجر –كما في " الفتوحات الربانية " (٢٤٨/٣)–، وكذا الشيخ الألباني في " السلسلة الضعفة " (رقم/١٨٣٤).

الدليل الثالث: عمل السلف الصالحين، ونقل هذه السنة من عادتهم.

قال ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) **– رحمه الله –:**

"روى الحافظ أبو عمرو أيضًا بإسناد صحيح عن الأعمش، عن إبراهيم قال: كانوا يستحبون إذا ختموا القرآن أن يقرؤوا من أوله آيات. وهذا صريح في صحة ما اختاره القراء وذهب إليه السلف " انتهى. النشر " (٤٤٩/٢) (ص/٧٠٣).

يقول الباحث: – ولا يخفى أن الأعمش مدلس–.

وقال الحافظ أبو عمرو الداني(ت: ٤٤٤هـ) **– رحمه الله–:**

"لابن كثير – يعني المقرئ المشهور – في فعله هذا دلائل من آثار مروية ورد التوقيف فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبار مشهورة مستفيضة جاءت عن الصحابة والتابعين والخالفين " انتهى.

نقلا عن " النشر في القراءات العشر " لابن الجزري (ص/٦٨٨).

الدليل الرابع: عمل المسلمين بهذه السنة في الأمصار عامة.

قال ابن الجزري – رحمه الله–:

" وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها، وقراءة العرض وغيرها، حتى لا يكاد أحد يختم ختمة إلا ويشرع في الأخرى، سواء ختم ما شرع فيه أو لم يختمه، نوى ختمها أو لم ينوه، بل جعل ذلك عندهم من سنة الختم، ويسمون من يفعل هذا " الحال المرتحل "، أي الذي حل في قراءته آخر الختمة، وارتحل إلى ختمة أخرى " انتهى.

"النشر " (ص/٦٩٤).

وقال النووي (ت: ٦٧٦هـ) **– رحمه الله–:**

"يستحب إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقيب الختمة ؛ فقد استحبه السلف والخلف، **واحتجوا فيه بحديث أنس رضي الله عنه... " انتهى.التبيان في آداب حملة القرآن" (ص/١١٠)**

وقال السيوطي (ت: ٩١١هـ) **– رحمه الله–:**

"يسن إذا فرغ من الختمة أن يشرع في أخرى عقب الختم لحديث الترمذي وغيره... " انتهى.

"الإتقان " (١/٢٩٥)، وانظر: " سنن القراء ومناهج المجودين " (ص/٢٢٧)

القول الثاني: المنع وعدم الاستحباب، نص عليه الإمام أحمد رحمه الله.

ووجه ذلك القول عدم ورود ذلك الفعل عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، وعرضه مرتين في العام الذي توفي فيه، ولم ينقل لنا أحد شيئا عن هذه السنة المتبعة اليوم.

قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) **– رحمه الله–:**

"قال أبو طالب: سألت أحمد إذا قرأ: (قل أعوذ برب الناس) يقرأ من البقرة شيئا ؟ قال: لا. فلم يستحب أن يصل ختمته بقراءة شيء، ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح يصير إليه " انتهى.

"المغني " (١/٨٣٨).

وجاء في " الفروع " (١/٥٥): ولا يقرأ الفاتحة وخمسا من البقرة نص عليه، قال الآمدي: يعني قبل الدعاء، وقيل يستحب " انتهى.

وقال ابن مفلح(ت: ٧٦٣هـ) **– رحمه الله–: في " الآداب الشرعية " (٢/٣١٦):**

"إذا فرغ من قراءة الناس لم يزد الفاتحة وخمسا من البقرة، نص عليه، وذلك إلى قوله: (وأولئك هم المفلحون) قال في الشرح: ولعله لم يثبت فيه عنده أثر صحيح، وقيل: يجوز بعد الدعاء، وقيل: يستحب.

قال القاضي بعد ذكره لمعنى هذا الخبر من حديث أنس رواه ابن أبي داود – يعني حديث الحال المرتحل – قال: وظاهر هذا أنه يستحب ذلك، والجواب أن المراد به الحث على تكرار الختم ختمة بعد ختمة، وليس في هذا ما يدل على أن الدعاء لا يتعقب الختمة " انتهى.

وقال الإمام ابن القيم(ت: ٧٥١هـ) **– رحمه الله–:**

"وفَهِمَ بعضهم من هذا: أنه كلما فرغ من ختم القرآن؛ قرأ فاتحة الكتاب، وثلاث آيات من سورة البقرة؛ لأنه حل بالفراغ، وارتحل بالشروع !

وهذا لم يفعله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا استحبه أحد من الأئمة...

وقد جاء تفسير الحديث متصلًا به: أن يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل.

وهذا له معنيان: أحدهما: أنه كلما حل من سورة أو جزء ارتحل في غيره. **والثاني:** أنه كلما حل من ختمة ارتحل في أخرى " انتهى. إعلام الموقعين " (٤/٣٠٦).

والقول الثاني أظهر من حيث الأدلة، إن شاء الله،

شبكة الألوكة www.alukah.net

الدراسة الثالثة: دلالات سورة الفاتحة التربوية في ضوء التفسير القيم

دلالات سورة الفاتحة التربوية في ضوء التفسير القيم د. حمدان عبد الله الصوفي الجامعة الإسلامية بغزة كلية التربية – قسم أصول التربية. نسخة بصيغة: (PDF).

وصف الدراسة:

يعتبر الكتاب من الكتب القيمة لباحثي علوم القرآني بصورة خاصة وغيرهم من المتخصصين في العلوم الإسلامية بشكل عام، وهو من منشورات مجلة كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة: (د ت):

الدراسة الرابعة: التفسير التحليلي للقرآن الكريم: تفسير سورة الفاتحة نموذجًا

التفسير التحليلي للقرآن الكريم: تفسير سورة الفاتحة نموذجًا (٣٥٠)صفحة لـ ناصر الكسواني عن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع(٢٠١١م)، ط١.

وصف الدراسة:

هذا الكتاب محاولة من المؤلف للمساهمة في التحديد التعريفي لبعض المفردات المتعلقة بالتفسير وعلوم القرآن.

لعدم ثبوت دليل على استحباب مثل ذلك، بل ظاهر السنة خلافه، كما تقدم بيانه، وقد سبق اختيار هذا القول في جواب رقم:(١٢٠٣٢).

على أننا ننبه ـ هنا ـ إلى أن المسألة، رغم ما رجحناه، هي مسألة اجتهادية، وليست من المسائل القطعية ؛ فمن صح عنده أن السلف كانوا يفعلون ذلك، أو اعتقد صحة الحديث الوارد فيه: فإنه لا يبدع ولا يضلل؛ بل لا ينكر عليه

وهكذا من ترجح عند القول الذي اخترناه، فإنه لا ينكر عليه؛ بل إن الإمام ابن الجزري، رحمه الله، وهو من القائلين بمشروعية ذلك، يقول: وعلى كل تقدير فلا نقول: إن ذلك لازم كل قارئ، بل نقول كما قال أئمتنا فارس بن أحمد وغيره: من فعله فحسن، ومن لم يفعله فلا حرج عليه " انتهى .النشر " (ص/٧٠٤). يُنظر: الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم: (١٢٥٦٩٣)، بتاريخ: ٢٠٠٩/١/٧م.

يقول الباحث:

نقلت الجواب برمته للأمانة العلمية، والحقيقة أن العبادات توقيفية، وما دام ذلك لم يثبت عمن أنزل عليه القرآن– صلى الله عليه وسلم– ولا عن صحبه الكرام رضي الله عنهم ولا عن تابعيهم بإحسان بسند ثابت صحيح فينبغي عدم العمل به، إذ لو كان من مشروعًا لسبقونا إليه.

و«أهل السنة والجماعة يقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها» انتهى. تفسير ابن كثير (٢٧٨،٢٧٩/٧). والحمد لله رب العالمين.

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلم التفسيرِ متعلق بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا يُعَدُّ علمُ التفسيرِ من أجلّ العلوم بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا أكثر احتياجًا له على مرِّ العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

وأهل العلم بتفسير القرآن نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَّ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَّ رتبةٍ.

إذْ جعلَهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأيُّ شرف يعدل هذا الشرف؟

ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علم التفسير بعلو همة وإقبالِ نفسٍ لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

هذا مع ما يمنُّ الله به على مَن اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وما يمن الله عليه من تنزل السكينة وحصول الطمأنينة وغشيان شآبيب الرحمة، مع ما يورثه من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه: ﴿ يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٦)﴾. [المائدة:١٥-١٦].

تلك هي الدوافع الداعية لخوض البحث والتنقيب عن معاني القرآن العظيم عمومًا، وبيان فضائل فاتحته خصوصًا، وإيضاح معانيها وتعلقها بأشرف وأعظم وأجل قضية ينبغي أن تبذل من أجلها الهمم العوالي والمهج الغوالي، ألا وهي قضية التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، فهي أعظم سورة في كتاب الله، وهي أم القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها.

وقد قال الله تعالى في شأنها: ﴿ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) ﴾ [الحجر].

وقَالَ رَسُولُه اللَّهِ ﷺ عنها: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا، وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُهُ»(٨).

---

(٨) البخاري (٤٧٠٤) مختصرًا، والترمذي في السنن (٢٨٧٥) واللفظ له.

شبكة الألوكة www.alukah.net

رابعًا: أهداف البحث:

١- بيان أن المحور الرئيس في السورة الكريمة هو تقرير عبودية الخلق للخالق جل في علاه

٢- إن من أهم أهداف البحث بيان عظم قدر التوحيد وعلو شأنه

٣- إيضاح وإبراز العلاقة الوطيدة بين السورة الكريمة وبين التوحيد بأنواعه الثلاثة

٤- ومن أهم أهداف البحث إبراز الجوانب العظيمة التي حوتها السورة الكريمة

٥- ومن الأهداف الجليلة للبحث لفت انتباه أنظار المسلمين عمومًا والباحثين والدارسين خصوصًا لعظم شأن السورة وما حوته وتضمنته من قضايا ومباحث، وأن مجال البحث في شأن فاتحة الكتاب ما يزال بابه مفتوحًا لم يوصد، وذلك لعظم شأن كتاب الله ولعظم قدر فاتحته وما حوته وتضمنته من قضايا، ماتزال تحتاج لبحث وتنقيب وإبراز لتلك الجوانب العظيمة التي تدل على عظمة الله، وعظمة كلامه الذي لا منتهى لفضله ولا حصر لقدره وعلو شأنه.

خامسًا: منهج البحث

لقد اعتمد الباحث المنهج التحليلي في تناول بحثه مبينًا منهجه في طريقة تناوله على النحو التالي:

١- يعتمد منهج الباحث على الجمع بين جانبين ونوعين عظيمين جليلين من جوانب التفسير ألا وهما جانبا التفسير التحليلي الموضوعي

٢- الحديث عن السورة الكريمة وبيان ما يتعلق بها من أحكام، كأحكام (الاستعاذة والبسملة والتأمين) وما تدعو الحاجة لبيانه، وذكر أهم ما ثبت لها من أسماء، وبيان عدد آياتها وكلماتها وحروفها

٣- بيان أبرز ما حوته السورة الكريمة من موضوعات ثم بيان معناها الإجمالي

٤- بيان بعض ما ورد في زمن وسبب نزولها، ثم بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها

٥- بيان أهم المناسبات في السورة الكريمة.

الفصل الأول

بين يدي السورة الكريمة

ويشتمل على مباحث:

المبحث الأول: أحكام تتعلق بالسورة الكريمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الاستعاذة وأحكامها

أولًا: مفهوم الاستعاذة ومعناها

الاستعاذة هي قولك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾ [النحل].

أ- معنى الاستعاذة في اللغة

قال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) **- رحمه الله-:**

« الاستعاذة في كلام العرب: الاستجارة والتحيز إلى الشيء على معنى الامتناع به من المكروه، يقال عذت بفلان واستعذت به؛ أي: لجأت إليه، وهي عياذي، أي: ملجئي»(٩)

فمعناها إذًا: «الالتجاء والاعتصام والتحصُّن»

ب-معنى الاستعاذة اصطلاحًا:

ولفظ يحصل به الالتجاء إلى الله تعالى، والاعتصام والتحصن به من الشيطان الرجيم، وهي ليست من القرآن بالإجماع، ولفظها لفظ الخبر، ومعناه الإنشاء، أي: اللهم أعذني من الشيطان الرجيم(١٠).

وقال ملَّا علي القاري(١١) **- رحمه الله -:**

«يعني: اللهم احفظني من وسوسته وإغوائه وخطواته وخطراته وتسويله وإضلاله، فإنه السبب في الضلالة والباعث على الغواية والجهالة»(١٢)

---

(٩) تفسير القرطبي: (١/٤). الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءًا (في ١٠ مجلدات).

(١٠) الإضاءة في أصول القراءة للشيخ علي محمد الضباع، (ص٦).

(١١) هو العلَّامة علي بن سلطان محمد الهروي المكي الحنفي، المشهور بالقاري. وُلد في هراه= سنة (٩٣٠هـ)، وبدأ بطلب العلم فيها، ثم رحل إلى مكة، واستكمل فيها وأخذ عن عددٍ من علمائها كابنِ حجر الهيتمي (ت: ٩٧٣هـ)، يوسف الأماسي (ت:١٠٠٠هـ)، تُوفي - رحمه الله- سنة (١٠١٤هـ). ينظر: عقود الجوهر (١/ ٢٦٤-٢٦٦)، والإمام علي القاري (ص٩٦-١١٤). هدية العارفين (١/ ٧٥١-٧٥٣). عقود الجوهر (١/ ٢٦٦-٢٧٣).

(١٢) مرقاة المفاتيح (٤٤٨/٢)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملَّا علي القاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملَّا الهروي، دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.، وينظر: عون المعبود (١٣١/٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعاذة لا تكون إلَّا بالله تعالى:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ) –رحمه الله–:

«الاستعاذة لا تكون إلا بالله في مثل قول النبي ﷺ «أعوذ بوجهك»(١٣) و«أعوذ بكلمات الله التامات»(١٤) و «أعوذ برضاك من سخطك»(١٥) ونحو ذلك وهذا أمر متقرر عند العلماء»(١٦).

ثانيًا: مفهوم الشيطان ومعناه

أ– معنى الشيطان لغة:

الشيطان مشتق من (شَطَنَ)؛ بمعنى: بَعُد عن الحقِّ، فهو من: شَطَنَه يَشْطُنُه شَطْنًا: إذا خالفه عن وجهته ونيَّته، وشَطَّت الدار: بَعُدَت، والشاطن: الخبيث، وتشيطن الرجل: إذا صار كالشيطان وفعل فعله، ومنه الشيطنة: التي هي مرتبة كلية عامَّة لمظاهر الاسم المضل، وعلى هذا الاشتقاق تكون كلمة شيطان على وزن (فيعال)، والنون فيه أصلية(١٧).

قال ابن كثير(ت: ٧٧٤) – رحمه الله –:

«والشيطان معناه في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير»(١٨).

والشيطان هو إبليس:

وإبليس مشتقٌّ من أَبلَس الرجل: إذا انقطع ولم تكن له حجَّة، وأَبلَس الرجل: قُطِع به، وأبلس أيضًا: سكَتَ، وأبلس مِن رحمة الله: يئس، والإبلاس: الحزن المعترض من شدَّة البأس، وقد استخدم العربُ هذه المعاني فقالوا: ناقة مِبلاس: إذا كانت لا تَرغو من الخوف، وفلان أبلس: إذا سكَت من شدَّة الخوف(١٩).

---

(١٣) أخرجه البخاري (٤٦٢٨).

(١٤) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

(١٥) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(١٦) مجموع الفتاوى (٢٧٣/٣٥)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ط٣، أبو داود (٨٧٩)، أحمد(٥٨/٦) .

(١٧) ينظر قاموس: العين –الفراهيدي (٢٣٦/٦)، وأساس البلاغة، (ص ٣٢٩)، القاموس المحيط (٨٧٠/١). القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ط١.

(١٨) تفسير ابن كثير (١/١١٥). تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٨.

(١٩) ينظر: مقاييس اللغة (٢٩٩/١، ٣٠٠)، معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ –١٩٧٩م، عدد الأجزاء:٦، والمفردات –الراغب الأصفهاني، (ص ٦٠)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، . تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت– ١٤١٢ هـ. وينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن (٧٦/١). غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة:

ب- معنى الشيطان اصطلاحًا:

يُطلق الشيطان من ناحية الاصطلاح على: كلِّ متمرِّد من الجنِّ والإنس والدواب(٢٠).

أمَّا إبليس: فهو علَمٌ على مَخلوق خلَقه الله – عز وجل –من النَّار، وجعله في عداد الملائكة، وقام بعمله ما شاء الله أن يقوم، ثمَّ نازع ربَّه الكبرياء والعظمة، فاستكبر عن طاعته، وعصى ربَّه، فطرده من رحمته ومن وظيفته، فهبط إلى الأرض، وأصبحت الشيطنة صفة له(٢١).

فاسم إبليس: هو علَمٌ على هذا المخلوق المتمرِّد العاتي المتجبر الفاسق عن أمر ربه، الذي خلقه الله من نار، والشيطان وصفٌ له ولمن تمرد وعتا وتجبر وفسق من ذريته.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ﴾[الكهف].

وهو علم مفرد، ويجمع على أباليس وأبالسة، وهو للجن كآدم للإنس.

وهو العدو اللدود الذي حذر الله عباده من عداوته، وأمرهم باتخاذه عدوًّا سبحانه و تعالى في قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾[فاطر].

ثالثًا: ذكر بعض ثمار الاستعاذة:

١- ومن ثمار الاستعاذة: التبرؤ من الحول والقوة فيه معنى من معاني تحقيق العبودية، فحينما يستعيذ العبد بالله من الشيطان الرجيم فهو بذلك يعلن فقره وذله لخالقه، ويبرأ من حوله وقوته ويلجأ إلى من بيده ملكوت كل شيء، سائلًا ربه أن يعيذه من شر عدوه.

وفي نحو ذلك يقول البجيرمي (٢٢) **– رحمه الله–:**

«ومن لطائف الاستعاذة أن قوله: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة الباري– عز وجل – وأنه الغني القادر على رفع جميع المضرات والآفات، واعتراف العبد أيضًا بأن الشيطان عدوّ مبين. ففي

١٣٩٨ هـ –١٩٧٨م، التبيان في تفسير غريب القرآن – شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري – دار الصحابة للطباعة ط١ ١٩٩٢ م.

(٢٠) ينظر: المفردات، الأصفهاني، (ص ٢٦١)، روح المعاني –الألوسي (١٥٧/١)، تفسير الألوسي–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى،١٤١٥هـ عدد الأجزاء: ١٥ (ومجلد فهارس). وقد نسب الألوسي هذا التعريف لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢١) ينظر: جامع البيان –الطبري (٢٢٦/١)، والمفردات –الأصفهاني، (ص ٦٠).

(٢٢) سليمان البُجَيْرَمِيّ (١١٣١ –١٢٢١ هـ) سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي، فقيه مصري. ولد في بجيرم (من قرى الغربية بمصر) وتوفي بالقرب منها تعلم في الأزهر، ودرس، وكف بصره. له: (التجريد –ط)، وهو حاشية على شرح المنهج في فقه الشافعية، و (تحفة الحبيب –ط) حاشية على شرح الخطيب، المسمى بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع. نقلًا عن: الأعلام للزركلي.

الاستعاذة التجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الغويّ الفاجر وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى» (٢٣):

٢- ومن ثمار الاستعاذة: حضور القلب وخشوع الجوارح وحصول أثر القرآن والانتفاع بمواعظه وزواجره ونواهيه لأن عدوه قد خنس بسبب الاستعاذة منه، فالاستعاذة منه من أعظم أسباب زجره ودحره.

٣- ومن ثمار الاستعاذة: حضور الملائكة لاستماع القرآن، فإذا اندحر الشيطان بالاستعاذة حضرت الملائكة لتستمع لآي القرآن، وهي تحب الاستماع للقرآن؛ لأنها ما أعطيت خاصية التلاوة، فلذلك تحب الاستماع إليه؛ ولأن الملائكة والشياطين لا يجتمعان. مثال لما ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه: «وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»(٢٤).

كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨)﴾[إسراء].

قال ابن جرير الطبري(ت: ٣١٠هـ) **– رحمه الله–:**

«يقول: إن ما تقرأ به في صلاة الفجر من القرآن كان مشهودًا، يشهده فيما ذكر ملائكة الليل وملائكة النهار، وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وجاءت الآثار عن رسول الله ﷺ»(٢٥).

وقال القرطبي (ت: ٦٧١هـ) **– رحمه الله–:**

«وعبر عنها بالقرآن خاصة دون غيرها من الصلوات؛ لأن القرآن هو أعظمها، إذ قراءتها طويلة مجهور بها حسبما هو مشهور مسطور»(٢٦).

٤- ومن ثمار الاستعاذة: تعظيم قدر القرآن في نفس المؤمن التالي له، فالاستعاذة فيها معنى تطهير المحل التالي لكلامه سبحانه، ولذا استحب التسوك عند التلاوة.

وحول هذا المعنى يقول ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ) **– رحمه الله–:**

«وَمِنْ لَطَائِفِ الِاسْتِعَاذَةِ: أَنَّهَا طَهَارَةٌ لِلْفَمِ مِمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَتَطْيِيبٌ لَهُ وَتَهَيُّؤٌ لِتِلَاوَةِ كَلَامِ اللَّهِ وَهِيَ اسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ وَاعْتِرَافٌ لَهُ بِالْقُدْرَةِ وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً، وَلَا يُدَارَى بِالْإِحْسَانِ، بِخِلَافِ الْعَدُوِّ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ»(٢٧). ولعل في هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

---

(٢٣) تحفة الحبيب (٨٩٣/١) إعانة الطالبين(٢٠/١).

(٢٤) أخرجه البخاري (٤٧٧)، ومسلم (٦٤٩) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢٥) انتهى من جامع البيان (٥٢٠/١٧).

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن (٣٠٤/٠).

(٢٧) تفسير ابن كثير (١ /٢٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: البسملة وأحكامها

أولًا: بيان ومفهوم معنى البسملة

البسملة: اسم.

ولفظة (بسملة): مصدرها بسمل.

وبسملَ فِعل: أي: يبسمل، بَسْمَلَةً، فهو مُبسمِل، فالبسملة اسم بُنِيَ من فعل، وهو من بسمل الشخص إذا قال: بسم الله، كقولهم: حوقل إذا قال: لا حول ولا قوّة إلا بالله، وحمدل إذا قال: الحمد لله(٢٨).

وهي من الكلام المنحوت المجموع من كلمتين(٢٩).

والعرب تفعل هذا إذا كثر استعمالهم للكلمتين ضموا بعض حروف إحداهما إلى بعض حروف الأُخرى منه(٣٠).

والبسملة هي قول: (بسم الله الرحمن الرحيم)

والاسم: كلمة يستدل بها على مُسَمًّى بذاته وعينه، يعرف به، ويتميّز به عن غيره.

ولفظ الجلالة: (الله)اسم علم على الذات الإلهية لربّ العزة والجلال تبارك وتعالى وهو غني عن تعريف خلقه جل في علاه.

والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب وتحبه وتخضع له، وتعبده خوفًا وطمعًا، وتدعوه رغبًا ورهبًا، وتعظمه تذللًا وتزلفًا، وتتوكل عليه وتنطرح بين يديه افتقارًا واضطرارًا إليه سبحانه وتعالى.

﴿ بسم الله ﴾ أي: أبدأ وأستهل بسم الله تعالى، وهي بركة واستعانة.

والجار والمجرور –على التعظيم والإجلال– في لفظة الجلالة ﴿ الله﴾ متعلق بفعل مقدر، تقديره: «أبدأ».

ومعناها: ﴿ بسم الله ﴾ وحده أقرأ كلامه وأتلوه متبركًا.

أي: أبتدأ قراءتي حال كوني متبركًا ومستعينًا ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾.

وهي مشروعة ومستحبة في أحوال شتى منها على سبيل البيان لا الحصر:

عند الوضوء، وعند المأكل والمشرب، وعند الوقاع، وعند الخروج من البيت والولوج فيه، وعند غلق الأبواب، وعند النوم، وعند التخلي، وعند الصيد، وعند الذبح، وعند التألم والتوجع يرقي بها نفسه، وفي أذكار طرفي النهار، وعند السفر وعند ركوب الدابة وعند تعثرها، وعند ركوب البحر، وعند قتال العدو، وعند المكاتبات كما فعل النبي ﷺ عند مكاتبة الملوك يدعوهم إلى الإسلام، وعند لحد المسلم في قبره، وفي غيرها من المواضع التي لا يسع المجال لذكرها بل ولا لحصرها.

---

(٢٨) ينظر: لسان العرب لابن منظور (٤٠٢/٢). لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر :دار صادر – بيروت الطبعة :الثالثة –١٤١٤ هـ–عدد الأجزاء:١٥

(٢٩) ينظر: تاج العروس للزبيدي مادة (عبد). تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف :محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) عدد الأجزاء: ٢٠ الناشر: دار الفكر –بيروت الطبعة: الأولى /١٤١٤هـ.

(٣٠) لسان العرب لابن منظور: (١١ /٧٠١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الجصاص(٣١) – رحمه الله–:

«وَالأَحْكَامُ الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا قَوْلُهُ:﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾الأَمْرُ بِاسْتِفْتَاحِ الأُمُورِ لِلتَّبَرُّكِ بِذَلِكَ، وَالتَّعْظِيمُ لِلَّهِ – عز وجل –بِهِ، وَذِكْرُهَا عَلَى الذَّبِيحَةِ شِعَارٌ وَعَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ الدِّينِ وَطَرْدِ الشَّيْطَانِ؛ وَفِيهِ إِظْهَارُ مُخَالَفَةِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يَفْتَتِحُونَ أُمُورَهُمْ بِذِكْرِ الأَصْنَامِ أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الْمَخْلُوقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَهُوَ مَفْزَعٌ لِلْخَائِفِ، وَدَلالَةٌ مِنْ قَائِلِهِ عَلَى انْقِطَاعِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَلُجُوئِهِ إِلَيْهِ، وَأُنْسٌ لِلسَّامِعِ، وَإِقْرَارٌ بِالأُلُوهِيَّةِ، وَاعْتِرَافٌ بِالنِّعْمَةِ، وَاسْتِعَانَةٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَعِيَاذَةٌ بِهِ، وَفِيهِ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى الْمَخْصُوصَةِ بِهِ لا يُسَمَّى بِهِمَا غَيْرُهُ، وَهُمَا اللَّهُ وَالرَّحْمَنُ»(٣٢).

و﴿ الرحمن الرحيم ﴾ اسمان كريمان عظيمان من أسماء الله تعالى الحسنى، يدلان على اتصاف الله تعالى بالرحمة الواسعة،

و﴿ الرحمن ﴾ دال على صفة ذاتية،

و ﴿الرحيم ﴾ دال على صفة فعلية.

و﴿ الرحمن﴾ وصفٌ بالرحمة، و﴿ الرحيم ﴾ هو الذي يرحم بتلك الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤]، كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) ﴾[البقرة]، والرحمن من الأسماء الخاصة به جل في علاه والتي لا يجوز ولا يصح أن يوصف بها سواه سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

و﴿ الرحمن ﴾على وزن فعلان، وهو يدل على الشمول والسعة والامتلاء، وهو اسم من أسماء الله تعالى الحسنى مشتق من الرحمة، وهي رحمة عامة لجميع الخلق.

ومما يدل على ذلك ذكر الله للاستواء باسم ﴿ الرحمن﴾ ليعم الرحمن جميع خلقه برحمته الواسعة الشاملة، فكما أن عرشه يعم جميع خلقه فكذلك رحمته.

كما قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه:٥].

﴿ الرحمن ﴾ على وزن فعيل، اسم من أسماء الله الحسنى، الواصلة لخلقه، وقد تكون أخص بالمؤمنين في الآخرة.

قال ابن القيم(ت: ٧٥١هـ) – رحمه الله–:

«الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فكان الأول للوصف والثاني للفعل فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذ ا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾[الأحزاب] وقوله: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧)﴾[التوبة] ولم يجئ قط (رحمن بهم) فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته»(٣٣) ا. هـ:

---

(٣١) أبو بكر الجصاص، (٣٠٥ – ٣٧٠هـ): الجصاص الحنفي هو: أبو بكر أحمد بن علي الرازي المشهور بالجصاص، ولد في مدينة الري، ثم رحل إلى بغداد، كان إمام الحنفية في وقته، واستقر التدريس له ببغداد، وانتهت الرحلة إليه، وله تصانيف كثيرة. ينظر ترجمته في: مقدمة كتابه (أحكام القرآن) (ص٤، ٥)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي (ص٢٧، ٢٨).

(٣٢)بتصرف يسير أحكام القرآن للجصاص: (١/١٩).

(٣٣) بدائع الفوائد (١ /٢٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكلام ابن القيم رحمه الله، وكلام غيره من أهل العلم يؤكد أن ﴿ الرحيم﴾ رحمة خاصة يرحم الله بها من شاء من عباده المؤمنين وهذا ما دلت عليه الآية في قوله تعالى:

﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾[الأحزاب]. وقد تكون أخص بالمؤمنين في الآخرة كما مرَّ معنا آنفًا، ويؤيد ذلك أيضًا القرطبي(٣٤).

ثانيًا: هل البسملة آية من الفاتحة

لقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم محفوظ من التحريف والتبديل ومن الزيادة أو النقصان، كما أجمعوا على أن كل من زعم أن كتاب الله تعالى زيد فيه ما ليس منه، أو أنقص منه ما أنزل الله فيه فقد كفر.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحِجر].

وزيادة للإيضاح نسوق أقوال أئمة التفسير في معنى الآية الكريمة من سورة الحجر.

يقول الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ وهو القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما، ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»(٣٥).

ويقول البغوي(ت: ٥١٦هـ) – رحمه الله –:

" ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ أي: نحفظ القرآن من الشياطين يزيدوا فيه، أو ينقصوا منه، أو يبدلوا.

قال الله تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت:٤٢] والباطل: هو إبليس، لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه»(٣٦).

ويقول القرطبي رحمه الله:

"﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ من أن يزاد فيه أو ينقص منه»(٣٧).

---

(٣٤) تفسير القرطبي (١/١٠٥).

(٣٥) تفسير الطبري (١٧/٦٩).

(٣٦) تفسير البغوي (٤/٣٧٠). تفسير البغوي- معالم التنزيل: البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ.

(٣٧) تفسير القرطبي (١٠/٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويقول العلَّامة الشنقيطي (٣٨)رحمه الله:

«بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي نزَّل القرآن العظيم، وأنه حافظ له من أن يزاد فيه أو ينقص أو يتغير منه شيء أو يبدل»(٣٩).

ويقول القاضي عياض(٤٠) رحمه الله:

«وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعه الدفتان من أول ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الفاتحة) إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [الناس] أنه كلام الله، ووحيه المنزَّل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدَّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأُجمع على أنه ليس من القرآن، عامدًا لكل هذا: أنه كافر» انتهى(٤١).

وأما اختلاف أهل العلم حول قرآنية البسملة فلا يشمله هذا الحكم، لأن أئمة القراءات لم يختلفوا في قراءتها في أوائل السور، والصحابة الكرام رضي الله عنهم مجمعون على إثبات البسملة في أوائل السور عدا براءة، وذلك في المصاحف العثمانية الذي كتبها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث به إلى الأمصار،

ويقول الشوكاني (ت: ١٢٥٥هـ) في ذلك:

«واعلم أن الأمة أجمعت أنه لا يكفر من أثبتها، ولا من نفاها؛ لاختلاف العلماء فيها، بخلاف ما لو نفى حرفًا مُجمعًا عليه، أو أثبت ما لم يقل به أحد: فإنه يكفر بالإجماع.

ولا خلاف أنها آية في أثناء سورة «النمل»، ولا خلاف في إثباتها خطًّا في أوائل السور في المصحف، إلا في أول سورة التوبة»(٤٢).

ولقد أجمع المسلمون على أن البسملة جزء آية من سورة النمل وذلك في قول الله سبحانه: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، وأجمعوا أيضًا على أنه لا خلاف بأنها ليست آيةً بين سورتي الأنفال والتوبة، لأن

---

(٣٨) الشيخ المحقق الأصولي المفسر- محمد الأمين الشنقيطي، (١٣٢٥- ١٣٩٣هـ)، هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المدني، ولد بموريتانيا، اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده. وكان من أوائل المدرسين في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية عين عضوًا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء بالسعودية. توفي ودفن بمكة. ينظر الموسوعة الحرة، وعلماء نجد للبسام (١٧٤/٦).

(٣٩) أضواء البيان للشنقيطي (٤١/٩). تفسير أضواء البيان للشنقيطي: -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: تسعة أجزاء.

(٤٠) الإمام العلَّامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض المالكي، ينظر: سير أعلام النبلاء (ص: ٢١٣) وما بعدها.

(٤١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٠٤/٢، ٣٠٥).

(٤٢) نيل الأوطار (٢١٥/٢). نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي-الناشر:دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م-عدد الأجزاء :٨.

شبكة الألوكة www.alukah.net

براءة نزلت بالسيف ولا يتناسب معها البسملة، والبسملة مشتملة على معنى الرحمة، واختلفوا فيما دون ذلك على مذاهب مختلفة وأقوال متباينة.

أولًا: مذهب الحنفية:

المختار عند علماء الحنفية أنها آية تامة مستقلة أنزلت للفصل بين السور، فهي من القرآن وليست من الفاتحة ولا من غيرها(٤٣).

وسئل محمد بن الحسن عنها فقال: «ما بين الدفتين كلام الله تعالى»(٤٤).

ثانيًا: مذهب المالكية:

البسملة ليست من القرآن في غير سورة النمل(٤٥).

ثالثًا مذهب الشافعية(٤٦):

البسملة آية كاملة في أول الفاتحة بلا خلاف في المذهب الشافعي، أما في باقي السور عدا براءة، **ففي المذهب ثلاثة أقوال:**

الأول: أنها آية كاملة في أول كل سورة.

الثاني: أنها بعض آية في أول كل سورة.

الثالث: أنها ليست بقرآن في أوائل السور عدا الفاتحة.

وقد ذكر النووي أن الراجح في المذهب هو الأول(٤٧).

رابعًا: مذهب الحنابلة:

قال ابن قدامة:

«واختلفت الرواية عن أحمد هل هي آية من الفاتحة يجب قراءتها في الصلاة أو لا؟ فعنه أنها من الفاتحة وذهب إليه أبو عبد الله ابن بطة وأبو حفص، وروي عن أحمد أنها ليست من الفاتحة ولا آية من غيرها، ولا يجب قراءتها في الصلاة، وهي المنصورة عند أصحابه».

قال ابن قدامة (ت: ٦٢٠هـ) – رحمه الله–:

«واختلف عن أحمد فيها –أي: في هذه الرواية – فقيل عنه: هي آية مفردة كانت تنزل بين سورتين فصلًا بين السور. وعنه: هي آية من سورة النمل(٤٨). أي: النمل فقط وليست آية من غيرها».

---

(٤٣) أحكام القرآن للجصاص (١/١٧)، حاشية الشهاب (١/٢٩).

(٤٤) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (١/ ٢٩).

(٤٥) مواهب الجليل (١/٥٤٤)، أحكام القرآن لابن العربي (١/٦)، الجامع لأحكام القرآن (١/٩٣).

(٤٦) المجموع- للنووي (٣/٢٨٩).

(٤٧) المرجع السابق (٣/٢٨٩).

(٤٨) المغني (١/٢٨٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا على هذه الرواية عن أحمد: «ويحكى هذا رواية عن أحمد ولا يصح عنه وإن كان قولًا في مذهبه»(٤٩).

انتصار شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله– للقول بقرآنية البسملة:

ولقد انتصر شيخ الإسلام رحمه الله للقول بقرآنية البسملة، حيث إنها أثبتت في أول كل سورة وهي ليست من السورة، ثم قال رحمه الله: «وهذا أعدل الأقوال»(٥٠).

وفي تفصيل ذلك يقول رحمه الله:

«والصواب أن البسملة آية من كتاب الله، حيث كتبها الصحابة في المصحف، إذ لم يكتبوا فيه إلا القرآن، وجردوه عما ليس منه، كالتخميس والتعشير وأسماء السور؛ ولكن مع ذلك لا يقال هي من السورة التي بعدها، كما أنها ليست من السورة التي قبلها، بل هي كما كتبت آية، أنزلها الله في أول كل سورة، وهذا أعدل الأقوال الثلاثة في هذه المسألة.

وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات، فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت، بل قد يقال ما قاله طائفة من العلماء: إن كل واحد من القولين حق، وأنها آية من القرآن في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يفصلون بها بين السورتين، وليست آية في بعض القراءات، وهي قراءة الذين يصلون ولا يفصلون بها بين السورتين »(٥١).

ولقد جعل بعض أهل العلماء الاختلاف في قرآنية البسملة، كاختلاف أئمة القراءات في بعض الكلمات والحروف، فقد يَثبُتُ بعضُها في قراءة أو رواية، وقد لا يَثبُتُ في غيرها.

وفي نحو ذلك أيضًا يقول رشيد رضا(ت: ١٣٥٤هـ)– رحمه الله–:

« **وأقول الآن**: أجمع المسلمون على أن البسملة من القرآن وأنها جزء آية من سورة النمل. واختلفوا في مكانها من سائر السور، فذهب إلى أنها آية من كل سورة؛ علماء السلف من أهل مكة– فقهاؤهم وقراؤهم– ومنهم ابن كثير، وأهل الكوفة ومنهم عاصم والكسائي من القراء، وبعض الصحابة والتابعين من أهل المدينة، والشافعي في الجديد وأتباعه، والثوري وأحمد في أحد قوليه، ومن المروي عنهم ذلك من علماء الصحابة:علي وابن عباس وابن عمر وأبو هريرة، ومن علماء التابعين سعيد بن جبير، وعطاء، والزهري، وابن المبارك، وأقوى حججهم في ذلك إجماع الصحابة ومن بعدهم على إثباتها في المصحف أول كل سورة سوى سورة براءة (التوبة) مع الأمر بتجريد القرآن عن كل ما ليس منه، ولذلك لم يكتبوا (آمين) في آخر الفاتحة، وأحاديث منها ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزلت علي آنفا سورة " فقرأ ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) (الكوثر) (٥٢).

---

(٤٩) الفتاوى الكبرى(١٨٢/٢).

(٥٠) المرجع السابق(١٨٢/٢) بتصرف يسير.

(٥١) انتهى بتصرف يسير جدًّا وللتوسع ينظر: مجموع الفتاوى(:٣٨٩/١٣).

(٥٢) أخرجه البخاري (٤٩٦٤)، ومسلم (٤٠٠).

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان لا يعرف فصل السورة(٥٣)- وفي رواية انقضاء السورة- حتى ينزل عليه ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ » (٥٤) (٥٥).

ويقول العلَّامة الشنقيطي رحمه الله:

«اختلف العلماء في البسملة، هل هي آية من أول كل سورة؟ أو من الفاتحة فقط؟ أو ليست آية مطلقًا؟ أما قوله في سورة النمل: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (النمل: ٣٠) فهي آية من القرآن إجماعًا.

وأما سورة «براءة»: فليست البسملة آية منها اجماعًا، واختُلف فيما سوى هذا، فذكر بعض أهل الأصول أن البسملة ليست من القرآن، وقال قوم: هي منه في الفاتحة فقط، وقيل: هي آية من أول كل سورة، وهو مذهب الشافعي رحمه الله:

ومِن أحسن ما قيل في ذلك -الجمع بين الأقوال-: بأن البسملة في بعض القراءات -كقراءة ابن كثير- آية من القرآن، وفي بعض القراءات: ليست آية، ولا غرابة في هذا.

فقوله في سورة "الحديد" ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[الحديد] لفظة (هُوَ) من القرآن في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وليست من القرآن في قراءة نافع، وابن عامر؛ لأنهما قرءا (فإن الله الغني الحميد)، وبعض المصاحف فيه لفظة (هُوَ)، وبعضها ليست فيه.

وقوله: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥) ﴾[البقرة]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[البقرة:١١٦] الآية، فالواو من قوله: ﴿ وقالوا ﴾ في هذه الآية من القرآن على قراءة السبعة غير ابن عامر، وهي في قراءة ابن عامر ليست من القرآن لأنه قرأ

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾بغير واو، وهي محذوفة في مصحف أهل الشام، وقس على هذا.

وبه تعرف أنه لا إشكال في كون البسملة آية في بعض الحروف دون بعض، وبذلك تتفق أقوال العلماء»(٥٦) انتهى.

وختامًا:

فلم يتعرض الباحث لبسط أدلة الفريقين، أي: القائلين بقرآنية البسملة، والقائلين بعدم قرآنيتها (أعني: في الفاتحة على وجه الخصوص)؛ لأنها معروفة ومبسوطة في مواضعها، ولعل ما ذُكِرَ آنفًا فيه الغنية والكفاية ولاسيما في قولي شيخ الإسلام ابن تيمية والشيخ رشيد رضا، وما خُتِمَ به البحثُ من قول العلَّامة الفقيه الأصولي المفسر محمد الأمين الشنقيطي.

---

(٥٣) أخرجه الحاكم (٨٤٥) بلفظ: كان النبي ﷺ لا يعلم ختم السورة حتى تنزل ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

قلت: رواته ثقات سوى سلم بن الفضل فمحله الصدق الذهبي في السير (١٦ :٢٧).

(٥٤) أخرجه عبد الرزاق (٢٦١٧) بإسناد صحيح ظاهر الإرسال.

(٥٥) تفسير المنار (٣٤/١). تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

(٥٦) مذكرة في أصول الفقه (ص ٦٦، ٦٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويلخص الباحث ما توصل إليه فيما يلي:

١- الخلاف في قرآنية البسملة في الفاتحة خلاف له قدره من حيث قوة أدلة الفريقين.

٢- لم يرتفع الخلاف -لدى الباحث- في قرآنية البسملة في الفاتحة خاصة-نفيًا أو إثباتًا- وذلك لاعتبار أدلة الفريقين، وإن كان يميل إلى القول بعدم قرآنيتها في الفاتحة خاصة.

٣-أن القول بأن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوا البسملة في المصحف في أوائل السور عدا «براءة»، مع إجماعهم على تجريده المصحف عن كل ما ليس بقرآن، فيه دلالة قوية إن لم تكن قاطعة على قرآنية البسملة، وأنها آية مستقلة، قول قوي جدًّا له وجهته وصوابه، وقد قال به جمع من العلماء، كما مرَّ معنا.

٤-لا يكفر من أثبت البسملة ولا من نفاها، وسواء قيل بالقطع في النفي أو الإثبات، فذلك لا يمنع كونها من موارد الاجتهاد التي لا تكفير ولا تفسيق فيها للنافي ولا للمثبت لاختلاف العلماء في ذلك اختلافًا كبيرًا وواسعًا، وهو اختيار شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم، وقد حكى الشوكاني إجماع الأمة على أنه لا يكفر.

بخلاف ما لو نفى حرفًا مُجمعًا عليه.

٥- ومن الأقوال التي لها وجاهتها وقوتها جمعًا بين الأقوال: إن البسملة في بعض القراءات- كقراءة ابن كثير- آية من القرآن، وفي بعض القراءات: ليست آية، ولا غرابة في هذا، وهو اختيار العلَّامة الشنقيطي، وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إلى قول طائفة من العلماء بهذا القول.

ثالثًا: حكم الجهر بالبسملة

أما عدم الجهر بقراءة البسملة فهو السنة، -يعني: في الصلاة - وهو القول والاختيار الموافق للأحاديث الثابتة الصحيحة، فالحق والصواب هو الإسرار وعدم الجهر بها؛ تأسيًا بالنبي ﷺ وعملًا بفعله وفعل خلفائه الثلاثة من بعده رضي الله عنهم، وذلك لِمَ ثبت عنه ﷺ أنه كان لا يجهر بالبسملة، وقد ثبت في ذلك أحاديث كُثر صحيحة منها: ما ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه:

ففي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهم كانوا يفتتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين»(٥٧)، وفي صحيح مسلم من حديث عن أنس رضي الله عنه -أيضًا- قال: «صليت مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدًا منهم يقرأ: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾»(٥٨).

---

(٥٧) رواه البخاري (٧١٠).

(٥٨) رواه مسلم (٣٩٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وكذلك هو قول أهل العلم قديمًا وحديثًا:

قال الإمام ابن عبد البر(٥٩) – رحمه الله–:

«وكان إبراهيم النخعي(٦٠)– رحمه الله – يقول: «الجهر بـ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ بدعة»(٦١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ليس في الجهر بها حديث صريح، ولم يروِ أهل السنن المشهورة كأبي داود والترمذي والنسائي شيئًا من ذلك، وإنما يوجد الجهر بها صريحًا في أحاديث موضوعة يرويها الثعلبي والماوردي وأمثالهما في التفسير، أو في بعض كتب الفقهاء الذين لا يميزون بين الموضوع وغيره، بل يحتجون بمثل حديث الحميراء»(٦٢) (٦٣).

وقال رحمه الله أيضًا:

«والموضوعات في كتب التفسير كثيرة مثل الأحاديث الكثيرة الصريحة في الجهر بالبسملة»(٦٤).

وقال الألباني(٦٥) – رحمه الله–:

«والحق أنه ليس في الجهر بالبسملة حديث صريح صحيح، بل صح عنه ﷺ الإسرار بها من حديث أنس، وقد وقفت له على عشرة طرق ذكرتها في تخريج كتابي صفة صلاة النبي ﷺ»(٦٦).

---

(٥٩) الإمام العلَّامة، حافظ المغرب، شيخ الإسلام أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة. سير أعلام النبلاء (١٥٤) وما بعدها.

(٦٠) الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل بن سعد بن مالك بن [النخع] النخعي (٤٧ هـ –٩٦ هـ) تابعي وفقيه وقارئ كوفي، وأحد رواة الحديث النبوي، وهو ابن أخي علقمة بن قيس النخعي، وأمه هي مليكة بنت يزيد النخعية أخت الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد النخعي وهم من كبار تابعي أهل الكوفة. وقد أدرك عددًا من أصحاب النبي ﷺ. سير أعلام النبلاء (٢١٣).

(٦١) الاستذكار (٤٥٨/١)

(٦٢) مجموع الفتاوى (٤١٥/٢٢)، والفتاوى الكبرى (١٦٦/٢).

(٦٣) قال ابن القيم–رحمه الله–: «وكل حديث فيه «يا حميراء» أو ذكر الحميراء فهو كذب مختلق مثل: يا حميراء، لا تأكلي الطين فإنه يورث كذا وكذا، وحديث: خذوا شطر دينكم عن الحميراء» ا. هـ. المنار المنيف (ص: ٦١) ونقله العجلوني في كشف الخفاء (٤٥٠/١).

قال الذهبي رحمه الله: «وقد قيل: إن كل حديث فيه يا حميراء لم يصح» ا. هـ. سير أعلام النبلاء (١٦٧/٢). وينظر آثارًا أخرى في: السنن الصغرى للبيهقي (١٥٧/١) والسنن الكبرى (٧/١) مصباح الزجاجة (٨١/٣) الكامل (٥٩/٢) المجروحين (٢٩/٢).

(٦٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٣٠٣/٢).

(٦٥) محدِّث العَصر الإمام العلَّامة: محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الأشقودري الألباني الساعاتي، أبو عبد الرحمن. (١٣٣٣هـ ١٤٢٠هـ). من علماء الحديث البارزين المتفردين في علم الجرح والتعديل، والشيخ الألباني حجة في مصطلح الحديث وقال عنه العلماء المحدثون: إنه أعاد عصر ابن حجر العسقلاني، والحافظ ابن كثير، وغيرهم من علماء الجرح والتعديل.

مولده ونشأته: ولد في مدينة أشقودرة عاصمة دولة ألبانيا، وهاجر بصحبة والده إلى دمشق الشام للإقامة الدائمة فيها ينظر:

١– حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه؛ محمد بن إبراهيم الشيباني.

٢– محمد ناصر الدين الألباني: محدِّث العصر، وناصر السنَّة؛ إبراهيم محمد العلي.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وسُئل سَمَاحةُ شيخنا العلَّامة الإمام ابن باز(ت: ١٤٢٠هـ) – رحمه الله–:

ما حكم الجهر بالبسملة في الصلاة عند قراءة الفاتحة، وغيرها من السور؟

فأجاب: «اختلف العلماء في ذلك، فبعضهم استحب الجهر بها، وبعضهم كره ذلك وأحب الإسرار بها، وهذا هو الأرجح والأفضل لما ثبت في الحديث الصحيح عن أنس رضي الله عنه قال: «صليت خلف رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر وعمر؛ وكانوا لا يجهرون بـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ »(٦٧).

وجاء في معناه عدة أحاديث، وورد في بعض الأحاديث ما يدل على استحباب الجهر بها؛ ولكنها أحاديث ضعيفة، ولا نعلم في الجهر بالبسملة حديثًا صحيحًا صريحًا يدل على ذلك (٦٨).

ولعل في هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

---

(٦٦) تمام المنة للألباني (١٦٩)، تمام المنة في التعليق على فقه السنة المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار الراية الطبعة: الخامسة عدد الأجزاء: ١.

(٦٧) البخاري (٧١٠)، ومسلم (٣٩٩).

(٦٨) مجموع فتاوى ابن باز (١١٩/١١). مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز عبد باز رحمه الله–المؤلف :عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه:محمد بن سعد الشويعر–عدد الأجزاء ثلاثون جزءًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: التأمين بعد الفاتحة وأحكامه

أولًا: مفهوم التأمين

أ–التأمين لغة: (٦٩)

مصدر أمَّن بالتشديد يؤمّن، والمراد به قول: آمين.

ويُشرعُ ذلك عند ختم قراءة فاتحة الكتاب للقارئ والمستمع جميعًا على حدٍّ سواء، سواء كان ذلك في الصلاة أو خارجها، أما في الصلاة فيُسنّ ذلك للإمام والمأموم والمنفرد جميعًا.

ب–مفهوم التأمين اصطلاحًا:

و«آمين»: كلمة دعاء بمعنى «اللهمّ استجب»، وليست من القرآن بإجماع أهل العلم، ولذلك لم يكتبها الصحابة رضي الله عنهم في المصاحف.

وقد ذكر العلماء لمعنى كلمة (آمين) معان عدة، أشهرها وأقواها وأصوبها: «اللهمّ استجب»، وهو ما عليه جمهور أهل العلم.

قال الحافظ ابن حجر (٧٠) **– رحمه الله– في الفتح:**

---

(٦٩) ينظر لمعنى كلمة آمين: لسان العرب (٢٦/١٣، ٢٧)، الجامع لأحكام القرآن (١٢٨/١)، المغني (١٦٣/٢)، المجموع (٣٧٠/٣).

(٧٠) ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ – ٨٥٢ هـ)، هو: أحمد بن علي بن محمد، شهاب الدين، أبو الفضل الكناني العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والوفاة، الشهير بابن حجر –نسبة إلى (آل حجر) قوم يسكنون بلاد الجريد وأرضهم قابس في تونس– من كبار الشافعية، كان محدثًا فقيهًا مؤرخًا، انتهى إليه معرفة الرجال واستحضارهم، ومعرفة العالي والنازل، وعلل الأحاديث= =وغير ذلك. تفقه بالبلقيني والبرماوي والعز بن جماعة.، ارتحل إلى بلاد الشام وغيرها، درَّس في عدة أماكن وولي مشيخة البيبرسية ونظرها والإفتاء بدار العدل، والخطابة بجامع الأزهر، وتولى القضاء، زادت تصانيفه على مائة وخمسين مصنفًا، من تصانيفه: فتح الباري شرح صحيح البخاري والدراية في منتخب تخريج أحاديث الهداية، و تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير.وينظر: الضوء اللامع (٢ / ٣٦)؛ والبدر الطالع (٨٧/١)؛ وشذرات الذهب (٧ / ٢٧٠)؛ ومعجم المؤلفين (٢ / ٢٠).

يقول الباحث: وابن حجر –رحمه الله– مع جلالة قدره في علم الحديث إلا أنه كثيرًا ما يتأول –ولا سيما في فتح الباري– صفات الرب جل في علاه مقررًا عقيدة الأشاعرة متجنبًا لمنهج السلف في إثبات الأسماء والصفات على حقيقتها على وجه يليق بذاته سبحانه بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل.

موقف علمائنا من الحافظين، ابن حجر، والنووي، رحمهما الله.

أهل السنَّة والجماعة منصفون في الحكم على الآخرين، لا يرفعون الناس فوق ما يستحقون، ولا ينقصون قدرهم، ومن الإنصاف بيان خطأ المخطئ من أهل العلم والفضل، والتأول له، والترحم عليه، كما أن من الإنصاف التحذير من خطئه؛ لئلا يغتر أحد بمكانته فيقلده فيما أخطأ فيه، وقد علَّق علماؤنا على أخطائهم، وبخاصة في باب صفات الله تعالى، وبينوها، وردوا عليهما، مع الترحم عليهما، والثناء بما يستحقانه، والدعاء لهما، والوصية بالاستفادة من كتبهما.

١–فلما سئل علماء اللجنة الدائمة للإفتاء بالسعودية: ما هو موقفنا من العلماء الذين أوَّلوا الصفات، مثل: ابن حجر، والنووي، وابن الجوزي، وغيرهم؟

شبكة الألوكة www.alukah.net

«معناه: الله استجب عند الجمهور. وقيل: غير ذلك مما يرجع جميعه إلى هذا المعنى»[٧١].

وعامة أهل العلم على ذلك كما قال القرطبي– رحمه الله–:

«معنى آمين عند أكثر أهل العلم: اللهم استجب لنا. وُضِع موضع الدعاء»[٧٢].

وقد نقل الحافظ ابن عبد البر الإجماع على ذلك فقال – رحمه الله–:

«ومعنى آمين عند العلماء: اللهم استجب لنا دعاءنا». وهو خارج عن قول القارئ:

﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فهذا هو الدعاء الذي يقع عليه التأمين)[٧٣].

وقد ورد في التأمين عدة أحاديث صحاح ثابتة عن النبي ﷺ، وآثار عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان رضي الله عنهم أجمعين.

فأجابوا: «إنهم في نظرنا من كبار علماء المسلمين الذين نفع الله الأمة بعلمهم، فرحمهم الله رحمة واسعة، وجزاهم عنا خير الجزاء، وأنهم من أهل السنة فيما وافقوا فيه الصحابة ڤ وأئمة السلف في القرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالخير، وأنهم أخطأوا فيما تأولوه من نصوص الصفات وخالفوا فيه سلف الأمة وأئمة السنة رحمهم الله». فتاوى اللجنة الدائمة (٣/٢٤١).

٢–ولما سئل شيخنا محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله– قال: «هناك علماء مشهودٌ لهم بالخير، لا ينتسبون إلى طائفة معينة مِن أهل البدع، لكن في كلامهم شيءٌ من كلام أهل البدع؛ مثل: ابن حجر العسقلاني، والنووي رحمهما الله، فهذان الرجلان بالذات ما أعلم اليوم أن أحدًا قدَّم للإسلام في باب أحاديث الرسول مثل ما قدَّماه، غفر الله للنووي ولابن حجر العسقلاني، ولمن= =كان على شاكلتهما ممن نفع الله بهم الإسلام والمسلمين». لقاءات الباب المفتوح (٤٣/ السؤال رقم ٩).

٣–ولما سئل معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء –حفظه الله–:

قال: «من كان عنده أخطاء اجتهادية تأوَّل فيها غيره، كابن حجر، والنووي، وما قد يقع منهما من تأويل بعض الصفات: لا يُحكم عليه بأنه مبتدع، ولكن يُقال: هذا الذي حصل منهما خطأ، ويرجى لهما المغفرة بما قدماه من خدمة عظيمة لسنَّة رسول الله ﷺ، فهما إمامان جليلان، موثوقان عند أهل العلم» انتهى. المنتقى من فتاوى الفوزان (٢/٢١١، ٢١٢).

٤–وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني محدث العصر، –رحمه الله–: «مثل النووي، وابن حجر العسقلاني، وأمثالهما، من الظلم أن يقال عنهم: إنهم من أهل البدع، أنا أعرف أنهما من «الأشاعرة»، لكنهما ما قصدا مخالفة الكتاب والسنَّة». انتهى من (شريط رقم ٦٦٦) «من هو الكافر ومن هو المبتدع».

وينظر: عرفة بن طنطاوي–عناية الإسلام بتربية الأبناء بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان–رسالة ماجستير –الجامعة الإسلامية العالمية– القاهرة.(١٤٣٧هـ)

(٧١) فتح الباري (٢/٢٦٢). فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – راجعه: قصي محب الدين الخطيب – دار الريان، القاهرة –الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

(٧٢) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٨).

(٧٣) التمهيد (٧/٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانيًا: فضائل التأمين

ومن فضائل التأمين: أنه سبب لمغفرة الذنوب، إذا وافق تأمين العبد تأمين الملائكة لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا قال الإمام: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ فقولوا: آمين. فإنه من وافق قولُهُ قولَ الملائكة، غُفِر له ما تقدم من ذنبه»(٧٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضًا أن النبي ﷺ قال: «إذا أمَّن الإمام، فأمِّنوا. فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة، غُفِر له ما تقدم من ذنبه» قال ابن شهاب: وكان رسول الله ﷺ يقول: آمين(٧٥).

قال القرطبي رحمه الله:

«قال علماؤنا – رحمة الله عليهم–: فترتبت المغفرة للذنب على مقدمات أربع تضمنها هذا الحديث:

الأولى: تأمين الإمام

الثانية: تأمين مَن خلفه

الثالثة: تأمين الملائكة

الرابعة: موافقة التأمين»(٧٦).

التأمين من خصائص هذه الأمة

والتأمين من خصائص هذه الأمة، ولذلك حسدتها يهود على ذلك، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: «ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتم على السلام، والتأمين»(٧٧).

وعنها رضي الله عنها – أيضًا – أن رسول الله قال ﷺ: «إنهم ـ أي: اليهود ـ لا يحسدوننا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة، التي هدانا الله لها وضلّوا عنها. وعلى القِبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها. وعلى قولنا خلف الإمام: آمين»(٧٨).

قال القرطبي رحمه الله:

«قال علماؤنا –رحمة الله عليهم– إنما حسدنا أهل الكتاب، لأن أوّلها، حمد لله وثناء عليه، ثم خضوع له واستكانة، ثم دعاء لنا بالهداية إلى الصراط المستقيم، ثم الدعاء عليهم، مع قولنا: آمين»(٧٩).

---

(٧٤) أخرجه البخاري (١١٣)، ومع فتح الباري (٧٨٢)، ومسلم نحوه (١٢٩/٤, و ١٢٨/٤) وليس فيه موضع الشاهد.

(٧٥) أخرجه البخاري (١١١)، ومسلم (١٢٨/٤).

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/١. وينظر أحكام القرآن للجصاص (٦/١).

(٧٧) أخرجه ابن ماجه (٨٥٦)، وابن خزيمة (١٥٨٥)، والبيهقي (٥٦/٢). وأورده الألباني في صحيح الترغيب (٥١٥) ورمز له بالصحة.

(٧٨) أحمد (١٣٤/٦، ١٣٥). وأصل الحديث في الصحيحين، إلا موضع الشاهد منه. البخاري (٢٩٣٥)، ومسلم في السلام، وفي البر والصلة.

(٧٩) الجامع لأحكام القرآن (١٣١/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثًا: المراد بموافقة الملائكة في التأمين

اختلف العلماء وإلى هذا القول ذُهِبَ: في المراد بموافقة الملائكة في التأمين.

على أقوال عدّة:

١- فقيل: الموافقة في الإجابة.

٢- وقيل: الموافقة في الزمن.

٣- وقيل: الموافقة في الصفة، من إخلاص الدعاء.

٤- وقيل: الحث على الدعاء للمؤمنين والمؤمنات في الصلاة.

وحكى الأقوال الثلاثة الأُول، القرطبي(٨٠).

الرأي المختار:

الذي يظهر -والله أعلم-: أن المراد بالموافقة هنا: الموافقة في الزمان. بأن يكون تأمين كُلٍّ من: الإمام، والمأموم، والملائكة في وقت واحد.

وهذا ما اختاره جمع من المحققين، منهم:

١- النووي رحمه الله، وأقرّه الشوكاني رحمه الله إذ قال:

«والمراد بالموافقة: الموافقة في وقت التأمين، فيؤمّن مع تأمينهم. قاله النووي. قال ابن المنير: الحكمة في إثبات الموافقة في القول والزمان: أن يكون المأموم على يقظة للإتيان بالوظيفة في محلها»(٨١).

٢- وابن دقيق العيد رحمه الله (٨٢) إذ قال:

«وموافقة الإمام لتأمين الملائكة، ظاهره الموافقة في الزمان. ويقويه، الحديث الآخر: «إذا قال أحدكم: آمين. وقالت الملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى»... الحديث(٨٣).

وقد يحتمل أن تكون الموافقة راجعة إلى صفة التأمين. أي: يكون تأمين المصلي، كصفة تأمين الملائكة في الإخلاص، أو غيره من الصفات الممدوحة. والأول، أظهر»(٨٤).

٣- وابن حجر رحمه الله إذ ذهب إلى أن المراد بذلك الموافقة في القول وفي الزمان:

واستدل لذلك بما جاء في رواية يونس، عن ابن شهاب عند مسلم، وابن عيينة عن ابن شهاب عند البخاري في الدعوات: «فإن الملائكة تؤمّن» قبل قوله: «فمن وافق» خلافًا لمن قال: المراد الموافقة في الإخلاص(٨٥)، (٨٦).

---

(٨٠) الجامع لأحكام القرآن (١/١٢٧).

(٨١) نيل الأوطار (٢/٢٤٥).

(٨٢) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري القوصي، أبو الفتح تقي الدين، ابن دقيق العيد (٦٢٥هـ، ت: ٧٠٢ هـ) محدِّث وفقيه مصري، لُقِّب بمجدد المائة السابعة. نقلًا عن المعرفة.

(٨٣) أخرجه البخاري (٧٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٨٤) شرح عمدة الأحكام (١/٢٠٨).

(٨٥) فتح الباري (٢/٢٦٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الثاني: أسماء السورة الكريمة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمها: وسبب تسميتها بـ"سورة الفاتحة"

جرى تسمية السور بما يناسب أهم مواضيعها، أو باسم أبرز ما ذكر فيها، كالفاتحة لأنها فاتحة القرآن، وإن كان أصل التسمية لا يعلل، ولكن قضى الله بحكمته الكمال والتمام لكلامه سبحانه من كل وجه.

يقول أبو الفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَلِيٍّ ابْنُ الجَوْزِيّ(ت: ٥٩٧هـ)– رحمه الله–:

«فمن أسمائها: الفاتحة؛ لأنه يستفتح الكتاب بها تلاوة وكتابة»(٨٧).

ويقول ابن كثير رحمه الله:

«يقال لها: الفاتحة، أي: فاتحة الكتاب خطًّا، وبها تفتح القراءة في الصلاة، ويقال لها أيضًا: أم الكتاب عند الجمهور»(٨٨).

المطلب الثاني: معنى الفاتحة

يقول الشوكاني رحمه الله:

«معنى الفاتحة في الأصل أول ما من شأنه أن يفتتح به، ثم أطلقت على أول كل شيء كالكلام، والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، فسميت هذه السورة فاتحة الكتاب لكونه افتتح بها، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن.

وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة بهذا الاسم في أيام النبوة»(٨٩).

المطلب الثالث: ما ثبت للسورة الكريمة من أسماء

قد ثبت أن النبي ﷺ سَمَّى بعض سور القرآن الكريم، كالفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والكهف.

واختلف أهل العلم، هل أسماء سور القرآن الكريم كلها ثابت بتوقيف من النبي ﷺ، أم أن بعضها ثبت باجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم ؟

فذهب أكثر أهل العلم إلى أن أسماء سور القرآن كلها ثابتة بتوقيف من النبي ﷺ.

---

(٨٦) ينظر: التأمين عقب الفاتحة في الصلاة (حكمه وصفته).د/عبد الله بن إبراهيم الزاحم، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية: العدد (١٢٥).

(٨٧) زاد المسير (١٠/١). تفسير ابن الجوزي- زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ.

(٨٨) ابن كثير: (١٠١/١).

(٨٩) فتح القدير (١٣/١). فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية، الشوكاني: محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: جزء واحد.

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله:

«لِسوَر القرآن أسماءٌ سمّاها بها رسول الله ﷺ»[٩٠]. انتهى.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن بعض أسماء سور القرآن الكريم كان بتسمية النبي ﷺ لها، وبعضها كان باجتهاد من الصحابة أنفسهم رضي الله عنهم، وهذا هو القول الصحيح المتلائم مع عموم الأدلة.

يقول الطاهر بن عاشور[٩١] رحمه الله:

«إنه لم يثبت في السنة الصحيحة والمأثورة من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، أو أم القرآن، أو أم الكتاب»[٩٢].

وقد ورد في أجوبة «فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء» بالمملكة العربية السعودية جوابًا عن هذا السؤال، ونصه:

لا نعلم نصًّا عن رسول الله ﷺ يدل على تسمية السور جميعها، ولكن ورد في بعض الأحاديث الصحيحة تسمية بعضها من النبي ﷺ، كالبقرة، وآل عمران، أما بقية السور فالأظهر أن تسميتها وقعت من الصحابة رضي الله عنهم » انتهى[٩٣].

وفي نحو ذلك يقول الزركشي(ت: ٧٤٥هـ)– رحمه الله–:

«ينبغي البحث عن تعداد الأسامي: هل هو توقيفي، أو بما يظهر من المناسبات ؟

فإن كان الثاني فلن يعدم الفَطِنُ أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها، وهو بعيد»[٩٤] انتهى.

وهذا تصريح من صاحب البرهان بعدم توقيف أسماء السورة قاطبة، وأن اشتقاق أسماء السور يمكن استخراجه من معانيها، وكذلك بأبرز ما ورد فيها.

---

(٩٠) جامع البيان (١/١٠٠).

(٩١) محمد الطَّاهر بن محمد بن محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد في مدينة تونس سنة (١٢٩٦) هـ، أحد أهم العلماء الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين. وقد توفي في (١٣٩٣ هـ).

أما عقيدته: فالطاهر ابن عاشور كان في مسائل الاعتقاد وعلم الكلام على مذهب الأشاعرة من حيث الأصل، ويظهر اعتقاد العلَّامة ابن عاشور واضحًا في موقفه من نصوص الصفات، فهو إما أن يؤولها، وإما أن يفوضها، وينظر: في ذلك تفسيره للإتيان (٢/٢٨٤) والاستواء (١٦/١٨٧)، واليدين (٢٣/٣٠٢).

ينظر:

*كتاب: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور تأليف: بلقاسم الغالي.

*كتاب: محمد الطاهر بن عاشور علَّامة الفقه وأصوله، والتفسير وعلومه. تأليف: خالد الطباع.

* مقدمة كتاب: مقاصد الشريعة لابن عاشور تحقيق: محمد الطاهر الميساوي.

*كتاب: التقريب لتفسير التحرير والتنوير تأليف: محمد بن إبراهيم الحمد.

(٩٢) التحرير والتنوير(١/١٣٢).

(٩٣) فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١٦/٤). فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء–بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد للنشر والتوزيع–الرياض، ١٤٢٤هـ، ط٢، عدد المجلدات:٢٣.

(٩٤) البرهان في علوم القرآن (١/٢٧٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول ابن كثير رحمه الله:

لهذه السورة عِدَّةُ أسماء تدلُّ على فضلِها وشرفِها، واشتمالها على المقاصدِ الأصليَّة والأصول المهِمَّة، فهي: الفاتحةُ لأنها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصحابة بها كتابة المصحف الإمام(٩٥).

قالَ البَغَوِيُّ رحمه الله:

«سمّيت فاتحة الكتاب؛ لأنّ الله بها افتتح القرآن. وسمّيت أمّ القرآن وأمّ الكتاب؛ لأنّها أصل القرآن منها بدئ القرآن وأمّ الشّيء: أصله، ويقال لمكّة: أمّ القرى؛ لأنّها أصل البلاد دحيت الأرض من تحتها، وقيل: لأنّها مقدّمةٌ وإمامٌ لما يتلوها من السّور يبدأ بكتابتها في المصحف وبقراءتها في الصّلاة، والسّبع المثاني؛ لأنّها سبع آياتٍ باتّفاق العلماء. وسمّيت مثاني لأنّها تثنّى في الصّلاة، فتقرأ في كلّ ركعةٍ، وقال مجاهدٌ: سمّيت مثاني لأنّ الله تعالى استثناها لهذه الأمّة فذخرها لهم»(٩٦).

يقول الفخر الرازي(ت: ٦٠٦هـ) – رحمه الله–:

«اعلم أن هذه السورة لها أسماء كثيرة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى:

فالأول: «فاتحة الكتاب» سميت بذلك الاسم لأنه يفتتح بها في المصاحف والتعليم، والقراءة في الصلاة، وقيل سميت بذلك لأن الحمد فاتحة كل كلام على ما سيأتي تقريره، وقيل: لأنها أول سورة نزلت من السماء.

والثاني: «سورة الحمد» والسبب فيه أن أولها لفظ الحمد.

والثالث: «أم القرآن» »(٩٧).

وفي نحو قول الرازي يقول ابن عاشور: «لم يثبت في السنة الصحيحة من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، أو السبع المثاني، أو أم القرآن، أو أم الكتاب»(٩٨).

ونسوق بعض الأدلة الصحيحة والصريحة في بعض أسماء السورة الكريمة:

١– تسميتها بالسبع المثاني والقرآن العظيم.

عن أبي سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه، قال: كنتُ أصلِّي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أُجِبْه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: «ألم يقل الله: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال لي: «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن

---

(٩٥) تفسير ابن كثير (١/١٠٢).

(٩٦) معالم التنزيل (١/٤٩).

(٩٧) التفسير الكبير: الفخر الرازي (١/١٤٥).

(٩٨) التحرير والتنوير(١/١٣٢). تفسير ابن عاشور–التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر–تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين) .

شبكة الألوكة www.alukah.net

قبل أن تخرج من المسجد»، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج، قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن، قال: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه»[٩٩].

ويقول في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«قال الله -تعالى- في أمِّ القرآن والسبع المثاني والقرآن العظيم ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦)﴾ (الفاتحة: ٥-٦)، وهذه السورة هي أم القرآن، وهي فاتحة الكتاب، وهي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي الشافية، وهي الواجبة في الصلوات، لا صلاة إلا بها، وهي الكافية تكفي من غيرها، ولا يكفي غيرها عنها»[١٠٠].

٢- أمّ القرآن.

ثبت في صحيح البخاري عن عطاء أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: «في كل صلاة يُقرأ؛ فما أسمعنا رسولُ الله ﷺ أسمعناكم، وما أخفى عنا أخفينا عنكم، وإن لم تزد على أمِّ القرآن أجزأت، وإن زدت فهو خير»[١٠١]. فسماها أمَّ القرآن.

٣- فاتحة الكتاب.

روى البخاري بسنده وغيره عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[١٠٢].

وهناك مسميات كثيرة لفاتحة الكتاب هي للأوصاف أقرب منها للأسماء.

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.

---

(٩٩) أخرجه البخاري (٤٤٧٤). صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ضبطه ورقمه مصطفى ديب البغا-ط٣-دار ابن كثير-دمشق-بيروت-١٤٠٧هـ

(١٠٠) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤/٦،٥).

(١٠١) أخرجه البخاري (٧٣٨).

(١٠٢) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤) عن الزهري به.

وفي بعض الطرق زيادة: «فصاعدًا»:

أخرج تلك الزيادة مسلم (٣٤٩)، وأبو داود (٨٢٢)، والنسائي في الكبرى (٩١١)، وفي المجتبى (٩٨٥)، من طريق معمر وحده عن الزهري.

قال البخاري: وقال معمر، عن الزهري: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأم الكتاب فصاعدًا» وعامة الثقات لم يتابع معمرًا في قوله: «فصاعدًا»، مع أنه قد أثبت فاتحة الكتاب وقوله: «فصاعدًا» غير معروف ما أردته حرفًا أو أكثر من ذلك؟ إلا أن يكون كقوله: «لا تقطع اليد إلا في ربع دينار فصاعدًا» فقد تقطع اليد في دينار وفي أكثر من دينار. ويقال: إن عبد الرحمن بن إسحاق تابع معمرًا، وأن عبد الرحمن ربما روى عن الزهري، ثم أدخل بينه وبين الزهري غيره، ولا نعلم أن هذا من صحيح حديثه أم لا. القراءة خلف الإمام للبخاري (ص: ٣).

وقال ابن حبان: وقوله: «فصاعدًا» تفرد به معمر عن الزهري دون أصحاب الصحيح (٥/ ٨٧).

قلت: فهي ضعيفة، والله أعلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثالث:

عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: عدد آياتها:

فاتحة الكتاب تعداد آياتها سبع آيات، وذلك بإجماع القرَّاء والمفسّرين وأهل العدد، وقد دلَّ على ذلك دلالة الكتاب والسنة والإجماع.

فأما دلالة الكتاب:

فقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾[الحجر:٨٧].

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله–بعد سياقه لأقوال أهل التأويل في الآية الكريمة–: «وقال آخرون: عنى بذلك: سبع آيات، وقالوا: هن آيات فاتحة الكتاب؛ لأنهن سبع آيات، وهم أيضًا مختلفون في معنى المثاني، فقال بعضهم: إنما سمين مثاني لأنهن يثنين في كل ركعة من الصلاة»(١٠٣).

ولاريب أن أصحاب هذا القول قد أصابوا، لأن قولهم قد ثبت تأويله وتفسيره في الحديث الثابت الصحيح، والسنة مبينة ومفسرة لمجمل القرآن كما سيأتي في بيان دلالة السنة.

ويقول ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق القول الأول في الآية الكريمة:

«والقول الثاني: أنها الفاتحة، وهي سبع آيات. روي ذلك عن عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

والبسملة هي الآية السابعة، وقد خصكم الله بها. وبه قال النخعي، وعبد الله بن عبيد بن عمير، وابن أبي مليكة، وشهر بن حوشب(١٠٤)، والحسن البصري، ومجاهد.

وقال قتادة:ذكر لنا أنهن فاتحة الكتاب، وأنهن يثنين في كل قراءة: وفي رواية: في كل ركعة مكتوبة أو تطوع.

واختاره ابن جرير، واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك، وقد قدمناها في فضائل سورة «الفاتحة» في أول التفسير، ولله الحمد»(١٠٥).

---

(١٠٣) جامع البيان (١٣٣/١٧).

(١٠٤) شهر بن حوشب أبو سعيد الأشعري الشامي. كان من كبار علماء التابعين، حدَّث عن مولاته أسماء، وعن أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس. وشهر تُكلِّم فيه كثيرًا.

قال الألباني – رحمه الله–: «وشهر ضعيف»، وقال عنه: «يهم». [أحكام الجنائز ١ – ٢٢٥].

وقال – رحمه الله–: «وهو سيء الحفظ لا سيما وقد خالف جميع الثقات فيه... »(الإرواء ٤ – ١٤٣).

(١٠٥) تفسير ابن كثير (٥٤٧/٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن علي أبي طالب رضي الله عنه قال: «السبع المثاني: فاتحة الكتاب»(١٠٦).

وحسبك باختيار حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وكذلك باختيار على بن طالب – رضي الله عنهم –: ولاريب أن أصحاب هذا القول قد أصابوا، لأن قولهم قد ثبت تأويله وتفسيره في الحديث الثابت الصحيح، والسنة مبينة ومفسرة لمجمل القرآن كما سيأتي في بيان دلالة السنة.

وأما دلالة السنة:

فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه فسرها بسورة الفاتحة؛ وذلك لما ثبت وصح عند البخاري من حديث سعيد بن المعلَّى رضي الله عنه أن النبي ﷺ فسرها له بقوله: «الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتُه»(١٠٧).

فيكون بذلك العدد المذكور في الآية مُنصَرَفه إلى عدد آيات السورة الكريمة.

وأمَّا الإجماع:

فقد حكاه خلق كثير من العلماء لا حصر لهم.

وننقل بعض أقوال من حكى الإجماع:

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيّ(١٠٨) – رحمه الله–:

«وهي سبع آيات في جميع العدد»(١٠٩).

قالَ مَحْمُودُ بْنُ عُمَرَ الزَّمَخْشَرِيّ(ت: ٥٣٨هـ)**–عفى الله عنه–:**

«وهي سبع آيات بالاتفاق»(١١٠).

قالَ أبو الفَرَجِ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَلِيٍّ ابنُ الجَوْزِيّ(ت: ٥٩٧هـ)**–رحمه الله–:** «فاتحة الكتاب: سبع آيات بلا خلاف في جملتها»(١١١).

قالَ عَلَمُ الدِّينِ عليّ بنِ محمَّدٍ السَّخَاوِيّ (ت: ٩٠٢هـ)**–رحمه الله–:** «فاتحة الكتاب: هي سبع باتفاق»(١١٢).

---

(١٠٦) جامع البيان للطبري (١٣٣/١٧).

(١٠٧) أخرجه البخاري وقد سبق تخريجه قبل قليل.

(١٠٨) أبو عمرو الداني (المتوفى في شوال ٤٤٤ هـ) المعروف في زمانه بـ ابن الصيرفي عالم قراءات ومُحدّث ومُفسّر أندلسي. وله عدد من المؤلفات منها: جامع البيان في السبع، والتيسير في القراءات السبع، والاقتصاد في السبع، وإيجاز البيان في قراءة ورش، والتلخيص في قراءة ورش، والمقنع، والمحتوى في القراءات الشواذ، وطبقات القراء، والأرجوزة في أصول الديانة، والاهتداء في الوقف والابتداء، والعدد، والتمهيد في حرف نافع، واللامات، والراءات لورش، والفتن الكائنة، والهمزتين، والياءات، والإمالة لابن العلاء. نقلًا عن الموسوعة الحرة، وينظر: سير أعلام النبلاء: الطبقة الرابعة والعشرون–أبو عمرو الداني.

(١٠٩) البيان (١٣٩).

(١١٠) الكشاف (٩٩/١). تفسير الزمخشري–الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي –بيروت الطبعة: الثالثة –١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤.

(١١١) فنون الأفنان (٢٧٨–٣٢٧).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قالَ عَبْدُ الحَقّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ(ت:٥٤٢هـ) – رحمه الله–:

«وأجمع الناس على أنّ عدد آي سورة الحمد سبع آيات، (و) ما ورد من خلاف ضعيف في ذلك»[١١٣].

قالَ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيٍّ الكَلْبِيّ[١١٤] – رحمه الله–:

«ولا خلاف أن الفاتحة سبع آيات، إلّا أنّ الشافعي يعدّ البسملة آية منها، والمالكيّ يسقطها ويعدّ ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ آية»[١١٥].

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلّلاتِيّ (ت: ١٣١١هـ) – رحمه الله–:

«وعدد آياتها سبع متفقة الإجمال»[١١٦].

قالَ مُحَمَّد الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور (ت: ١٣٩٣هـ) – رحمه الله–:

«وهي سبع آياتٍ باتّفاق القرّاء والمفسّرين»[١١٧]،[١١٨].

إجماع أهل العدد:

قال البقاعي [١١٩]– رحمه الله–:

«وأما عدد آي الفاتحة: فهي سبع عند جميع أهل العدد، وهم خمسة :مدني، ومكي، وكوفي، وبصري، وشامي»[١٢٠]:

---

(١١٢) جمال القراء (١/١٩٠). جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن علم الدين، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، أصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف: د/ محمد سالم المحيسن، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء:٢.

(١١٣)المحرر الوجيز (١/٩٥).

(١١٤) ابن جزيٍّ الكلبي (٦٩٣ -٧٤١ هـ) محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزيٍّ الكلبي، أبو= القاسم، فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. من كتبه: القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية –ط، تقريب الوصول إلى علم الأصول، الفوائد العامة في لحن العامة، التسهيل لعلوم التنزيل–ط تفسير، الأنوار السنية في الألفاظ السنية –ط، وسيلة المسلم في تهذيب صحيح مسلم، البارع في قراءة نافع، نقلًا عن: الأعلام للزركلي.

(١١٥) التسهيل (١/٦٣).

(١١٦) القول الوجيز (١٦١).

(١١٧) التحرير والتنوير (١/١٣٦).

(١١٨) وللاستزادة: ينظر: موقع جمهرة العلوم.

(١١٩) البقاعي، برهان الدين (٨٠٩ -٨٨٥ هـ) أبو الحسن، برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّبَاط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مؤرخ أديب. أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق له: (عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران –خ)، و (عنوان العنوان –خ) مختصر عنوان الزمان، و (أسواق الأشواق –خ) وغيرها، نقلًا عن الأعلام للزركلي.

(١٢٠) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور–للبقاعي(١/١٦٩). مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور؛ المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي برهان الدين أبو الحسن؛ المحقق: عبد السميع محمد أحمد حسنين؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة المعارف؛ سنة النشر: ١٤٠٨هـ م–عدد المجلدات: ٣؛ رقم الطبعة: ١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

نظائر سورة الفاتحة في عدد آياتها:

ونظيرتها في عدد آياتها في المكي والشامي سورة الناس وفي الكوفي والبصري سورة أرأيت ولا نظير لها في المدنيين(١٢١).

رؤوس الآية في السورة الكريمة:

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيّ رحمه الله:

«ورؤوس الآية: ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾، ﴿الرَّحِيمِ﴾، ﴿ الدِّينِ﴾، ﴿ نَسْتَعِينُ﴾، ﴿ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿ الضَّالِّينَ﴾

قالَ عَبْدُ الحَقّ بنُ غَالِبِ بنِ عَطِيَّةَ الأَنْدَلُسِيُّ رحمه الله:

«وأجمع الناس على أنّ عدد آي سورة الحمد سبع آيات:﴿ الْعَالَمِينَ﴾ آية، ﴿ الرَّحِيمِ﴾ آية، ﴿ الدِّينِ ﴾ آية، ﴿ نَسْتَعِينُ﴾ آية، ﴿ الْمُسْتَقِيمَ﴾ آية، ﴿ عَلَيْهِمْ﴾ آية، ﴿ الضَّالِّينَ﴾ آية.

وقد ذكرنا في تفسير ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ما ورد من خلاف ضعيف في ذلك»(١٢٢).

وكذلك هو اختيار سماحة شيخنا الإمام ابن باز حيث يقول– رحمه الله–:

«إنها–أي: البسملة–ليست من الفاتحة، وإنما أول الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

هذه الآية الأولى، الثانية ﴿ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾، ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾الثالثة، ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾الرابعة، ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾هي الخامسة، ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾هذه هي السادسة، ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾هي السابعة»(١٢٣).

وبذكر أبي عمرو الداني عثمان بن سعيد لرؤوس الآية في السورة الكريمة بدءًا

بـ ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾، وكذلك ذكر ابن عطية الأندلسي عد آيات السورة السبع بدءًا

بـ ﴿ الْعَالَمِينَ ﴾ وكذلك أيضًا قول الإمام ابن باز رحمه الله يتضح عدم إثباتهم للبسملة، فلم يعدوها آية في الفاتحة، وبهذا تتوافق تلك الأقوال مع اختيار شيخ الإسلام: «أنها آية مستقلة»، وهو أقرب الأقوال.

قاعدة رؤوس الآية (الفواصل):

قَالَ رِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المُخَلّلاتِيّ رحمه الله: «وقاعدة فواصلها (نم) نحو: ﴿الْعَالَمِينَ﴾، و﴿ الرَّحِيمِ﴾»(١٢٤).

ومعنى قوله: (نم) إشارة إلى أن آخر حرف في نهاية كل فاصلة في السورة الكريمة محصور في هذين الحرفين (ن، م) ولا يخرج عنهما أبدًا، وذكر لذلك مثالين هما: ﴿الْعَالَمِينَ﴾، ﴿والرَّحِيمِ﴾.

---

(١٢١) البيان (١٣٩)، القول الوجيز (١٦١).

(١٢٢) المحرر الوجيز (٩٥/١). تفسير ابن عطية–المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى –١٤٢٢هـ.

(١٢٣) ينظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز– رحمه الله–.

(١٢٤) القول الوجيز (١٦١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: عدد حروفها:

وفي عدد كلمات السورة الكريمة خلاف مشهور، وسبب الخلاف الأظهر أنه بسبب كون البسملة آية في الفاتحة، لمن أثبتها، وكونها ليست آية لمن نفاها.

أشهر الأقوال في عدد كلماتها:

القول الأول: عدد كلماتها خمس وعشرون كلمة

واختاره جمع من أهل العلم منهم: أبو عمرو الدَّانِيُّ[١٢٥]، والنيسابوريُّ [١٢٦]، والإمام ابْنِ كَثِيرٍ في تفسيره.[١٢٧]، ورِضْوانُ بنُ مُحَمَّدٍ المِحَلِّلاتِيُّ[١٢٨].

القول الثاني: عدد كلماتها سبع وعشرون كلمة

وممن اختار هذا القول: عليُّ بنُ محمدٍ الخازنُ، صاحب التفسير[١٢٩].

القول الثالث: عدد كلماتها تسع وعشرون كلمة

وممن اختار هذا القول: عمرُ بنُ عليِّ بنِ عادلٍ الدمشقيُّ الحنبليُّ.[١٣٠]، ومحمدُ بنُ عمرَ الجاويُّ[١٣١].

وإن قولي ابن عادل الدمشقي والجاوي، الأظهر: أنه مع إثبات البسملة آية في الفاتحة.

وأما القول الأول الأظهر: أنهم يعدون البسملة، تمشيًا مع القول بأن البسملة آية مستقلة في كتاب الله وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية كما مرَّ معنا آنفًا.

والقول الثالث هو المشهور، لكن الترجيح في عدد كلماتها متعلق بالترجيح بكون البسملة آية في الفاتحة نفيًا أو إثباتًا.

نظيرتها في عدد الكلمات:

قَالَ عُثْمَانُ بنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ:

«وكلمها خمس وعشرون كلمة كَكَلِم أرأيت»[١٣٢] [١٣٣].

المطلب الثالث: عدد حروفها:

---

(١٢٥) البيان (١٣٩).

(١٢٦) غرائب القرآن (٥٩/١).

(١٢٧) تفسير القرآن العظيم (١٠٢/١).

(١٢٨) القول الوجيز (١٦١).

(١٢٩) لباب التأويل (١٥/١).

(١٣٠) اللباب (١٥٩/١).

(١٣١) مراح لبيد (٧/١).مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، الجاوي: محمد بن عمر نووي، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٧ هـ عدد الأجزاء:٤.

١٩٤- ميزان الاعتدال: الإمام الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان بن قَايْماز، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأُولى، سنة ١٣٨٢ هـ.

(١٣٢) يعني بـ (أرأيت): سورة الماعون.

(١٣٣) (البيان: ١٣٩).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد اختلف في عدد حروفها اختلافًا واسعًا على ستة أقوالٍ، وكل قول قال به أقوام[١٣٤]، ولم يعرج الباحث على الخوض في التفصيل في عدد حروفها، إذا المعول عليه عدد الآيات والكلمات؛ لأنه متعلق بموضوع قرآنية البسملة، ولاسيما في كونها آية في الفاتحة نفيًا كان ذلك أو إثباتًا.

ولعل في ذلك من الكفاية والمعتبر ما يكفي لوضوح الحق لأهل البحث والنظر.

والحمد لله رب العالمين.

(١٣٤)وللاستزادة ينظر: موقع جمهرة العلوم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع: أبرز موضوعات السورة الكريمة

وفيه مطلبان:

سميت السورة بسورة الفاتحة لافتتاح القرآن بها فهي أول سورة فيه، وهي مشتملة على جميع معاني القرآن الكريم ومقاصده، فهي كالمقدمة للقرآن كله، فقد احتوت مواضيعها الدين كله.

المطلب الأول: بيان محور مواضيع السورة إجمالًا:

يَدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَالعَقِيدَةِ، وَالعِبَادَةِ، وَالتَّشْرِيعِ، وَالاعْتِقَادِ باليَوْمِ الآخِرِ، وَالإِيمَانِ بِصِفَاتِ اللَّهِ الحُسْنَى، وَإِفْرَادِهِ بالعِبَادَةِ وَالاسْتِعَانَةِ وَالدُّعَاءِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا بطَلَبِ الهداية إلى الدِّينِ الحَقِّ وَالصِّرَاطِ المسْتَقِيمِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بالثَّبَاتِ عَلَى الإِيمَانِ وَنَهْجِ سَبِيلِ الصَّالِحِينَ، وَتَجَنُّبِ طَرِيقِ المغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ، وَالإِخْبَارِ عَنْ قِصَصِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، وَالاطِّلَاعِ عَلَى مَعَارِجِ السُّعَدَاءِ وَمَنَازِلِ الأَشْقِيَاءِ، وَالتَّعَبُّدِ بأَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَنَهْيِهِ(١٣٥).

المطلب الثاني: بيان محور مواضيع السورة تفصيلًا:

وفيه مسائل:

أولًا: موضوع أسس قضايا العقيدة والتوحيد:

فقد حوت السورة بين ثنايا آياتها قضايا العقيدة، العقيدة في الله تعالى، وفي أسمائه وصفاته، وفي اليوم الآخر، والتعريف بالمعبودِ المستحق للعبادة وحده دون سواه تبارَك وتعالى.

فقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فيه بيان استحقاق المولى- عز وجل - الحمد والثناء والتمجيد الذي هو أهله جل في علاه، مع التذكير بوجوب شكره وحمده على نعمه وآلائه، والإقرار له بالربوبية، وفي الإقرار بذلك كله تنزيه لله عن كل نقص، فكما أنه سبحانه اتصف بالكمال المطلق، فالنقائص كلها في حقه محاله.

وقوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾فيه الثناء على الله بوصفه جل في علاه بالرحمة العامة ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾،والرحمة الخاصة ﴿ الرَّحِيمِ ﴾:

والسورة الكريمة كلها في التوحيد من أولها وحتى آخر، وكل آية فيها تدل على التوحيد، ولقد ورد في السورة التوحيد بأنواعه الثلاثة الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ متضمن لتوحيد الألوهية، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. ففي كل ذلك دلالة على توحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية هو: توحيد الله بأفعال العباد، والتي منها: الحمد والعبادة والدعاء والاستعانة.

---

(١٣٥) مقال لـ: عبد الأثري: موقع صيد الفوائد، مع تصرف يسير. وبعد بحث مضنٍ لم يقف الباحث له على عزوٍ ولم يجد له مصدرًا، ولكن يُستشعر أن فيه نَفَس ابن القيم وأسلوبه في الكتابة ولا سيما في نهايته، والله أعلم.

شبكة الألوكة www.alukah.net

«وهو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة؛ الظاهرة، والباطنة، قولًا، وعملًا، ونفي العبادة عن كل من سوى الله تعالى كائنًا من كان»(١٣٦).

وقوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الربوبية: هو توحيد الله تعالى بأفعاله سبحانه وتعالى: وهو: «الإقرار بأنَّ الله سبحانه وتعالى هو ربّ كل شيءٍ ومليكه، وأنّ الله تبارك وتعالى هو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والنافع، والضار(١٣٧)، والمتفرّد بإجابة دعاء المضطرين، والإقرار أيضًا بأنّ الأمر كلّه لله، وأنّه بيده الخير كلّه، وأنّ الله هو القادر على ما يشاء، وليس له في ذلك أي شريك، أو نظير»(١٣٨) (١٣٩).

وقوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ متضمن لتوحيد الأسماء والصفات.

وتوحيد الأسماء والصفات هو: إثبات جميع صفات الكمال لله تعالى التي أثبتها الله تعالى لنفسه في محكم كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في صحيح سنته، على الحقيقة، على وجه يليق بذات الله تبارك وتعالى. من غير تحريف ولا تأويل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تشبيه تمثيل.

وهذه عقيدة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات.

قال ابن عبد البر رحمه الله:

«أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع والجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها، ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة»(١٤٠).

---

(١٣٦) معارج القبول شرح سلم الأصول (١/ ٣١). معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول-المؤلف :حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ) المحقق :عمر بن محمود أبو عمر-الناشر: دار ابن القيم – الدمام-الطبعة :الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م- عدد الأجزاء٣.

(١٣٧) لم يثبت بدليل صحيح أن الضار من أسماء الله تعالى وإنما ورد ذلك في الحديث المشهور الذي فيه تعداد الأسماء الحسنى، وهو حديث ضعيف، رواه الترمذي وغيره. والمقرر عند أهل العلم أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، أي: لا يثبت منها شيء إلا بالدليل. فإذا لم يثبت الاسم، وكان معناه صحيحًا فإنه يجوز الإخبار به عن الله تعالى، فيقال: الله هو الضار النافع، لأن باب الإخبار أوسع من باب الأسماء والصفات، لكن لا يعبّد بهذا الاسم، فلا يقال: عبد الضار، أو عبد النافع؛ لأنه لم يثبت اسمًا لله تعالى. وللاستزادة: ينظر: موقع الإسلام سؤال وجواب.

(١٣٨) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٣). تيسير العزيز الحميد (الطبعة السابعة)، بيروت: المكتب الإسلامي. -سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

(١٣٩) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٢٠٠ هـ-١٢٣٣هـ) من آل الشيخ، فقيه سلفي من أهل نجد من حفدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. كان بارعًا في التفسير والحديث والفقه، وشى به بعض المنافقين إلى إبراهيم باشا بن محمد علي بعد دخوله الدرعية واستيلائه عليها فأحضره إبراهيم، وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر إغاظة له، ثم أخرجه إلى المقبرة وأمر العساكر أن يطلقوا عليه الرصاص جميعًا فمزقوا جسمه -رحمه الله -.

(١٤٠) التمهيد (١٤٥/٧).

وبذلك يتبين أن محور السورة الأساسي وموضوعها الرئيس: هو التوحيد.

ثانيًا: إثبات الوعد والوعيد

وأما الوعد والوعيد: ففي قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾، والذي يلزم منه الإقرار بيوم البعث والحساب والجزاء والعقاب، وفيه أيضًا معنى تمجيد الله وتعظيمه.

ثالثًا: حصر استحقاق العبادة لله وحده، وحصر الاستعانة به دون سواه

فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾إقرار بألوهيته سبحانه وتعالى واستحقاقه العبادة دون سواه، والعبادة ثمرة التوحيد، والتوحيد لا يُسمَّى توحيدًا إلا مع العبادة، ولا تتحقق العبادة لله تعالى إلا بالبراءة من الشرك وأهله، فيشمل قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ معنى البراءة من الشرك وأهله ضمنًا.

والعبادة الصحيحة من شأنها أن ترسخ العقيدة في القلوب وتثبتها في النفوس.

وقوله: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ إقرار لله تعالى بالافتقار والخضوع والذل، وذلك مشهد عظيم من مشاهد العبودية لله الواحد الأحد، مع ما فيه من بيان العجز والتبرؤ من الحول والطول والقوة وتخصيص الله تعالى بالاستعانة والعون والمدد دون سواه، وقوله: (نعبد، نستعين) فيه إفراد لله – سبحانه وتعالى – بالعبادة والدعاء والاستعانة.

وما سبق ذكره كان كمقدمة أولى: عن بيان عظمة من نسأله – وهو الرب– جل في علاه– والتقرب إليه بصنوف العبودية المشتملة على حمده والثناء عليه وتمجيده جل في علاه.

رابعًا: سؤال الله تعالى الهدايتين، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام والرشاد، وسؤال الثبات على الدين القويم:

وذلك في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ والتذلل إلى الله تعالى بطلب الهداية إلى الطريق المستقيم وبيان ضعف العبد السائل وذله لربه وإظهار افتقاره إليه كان كمقدمة ثانية.

خامسًا: ومن أبرز مواضيعها طلب الثبات على الصراط المستقيم والنهج الصالح القويم مع الذين أنعم الله عليهم بالثبات عليه:

وذلك في قوله سبحانه:﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، والمنعم عليهم هم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ [النساء].

وفي قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾بيان شرف الصحبة الصالحة ومكانتها وفضلها.

سادسًا: ذكر طرفٍ من قصص الأمم الغابرة وأخبارها وذكر مصيرها:

وذلك في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وفيه بيان انقسام الخليقة لأقسام ثلاثة، منعم عليهم وهم أهل السعادة، ومغضوب عليهم، وضالون، وهما أهلا الشقاء والغواية.

وفيه التحذير من مسالك أهل الغواية والضلال لئلا يحشروا مع سالكي سبلهم.

وكانت الخاتمة: في بيان الطريق المستقيم المؤدي إلى سعادة الدارين لمن سلكه وثبت عليه، وفي تقسيم الخليقة إلى ثلاثة أقسام، بحسب العلم والعمل كما مرَّ معنا آنفًا.

ومن هنا يتضح: أن آيات الفاتحة قد أجملت الأصول التي جاءت مفصلة في القرآن كله، ويتضح من ذلك الحكمة في تنزيلها في أول ما نزل من القرآن، وهي أول سور القرآن ترتيبًا لا تنزيلًا.

ومن هنا أيضًا: يجدر بنا أن نفهم لماذا تسمى الفاتحة بـ «أم الكتاب» وبـ «أم القرآن».

وفي نحو ذلك يقول البقاعي رحمه الله:

«إن سورة الفاتحة جامعة لجميع ما في القرآن، فالآيات الثلاث الأُول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى والصفات العلى، فكل ما في القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث الأُخر من قوله: ﴿ اهْدِنَا ﴾ شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق في الوصول إلى الله، والتحيز إلى رحمته، والانقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ما ظاهره من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾».

وذكر ابن القيم رحمه الله:

«أن السورة اشتملت على الرد على جميع طوائف أهل البدع والضلال، كما بينت منازل السائرين، ومقامات العارفين، وبيان أنه لا يقوم غير هذه السورة مقامها، ولا يسد مسدها، ولذلك لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل مثلها».

وقال ابن سعدي(ت: ١٣٧٦هـ) – رحمه الله–:

«وهذه السورة على إيجازها احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن، فقد تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، يؤخذ من قوله:﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، وتوحيد الألوهية، وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ (الجلالة): اللَّه، ومن قوله:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾:

وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتها لنفسه، وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيل، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ الحمد. وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾وأن الجزاء يكون بالعدل، وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾،لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل حقيقة. وتضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾» (١٤١):

وأيضًا وصف الله بالرحمة العامة والرحمة الخاصة في اسمي الرحمن، الرحيم دلالة على إثبات توحيد الأسماء والصفات كما هو معلوم وظاهر لا يخفى.

وبهذا يتبين أن السور الكريمة قد حوت أهم مقاصد القرآن الكريم إجمالًا، ثم جاء ذلك مفصلًا في سائر سور القرآن الكريم كلها.

---

(١٤١) مقاصد سورة الفاتحة، موقع إسلام ويب، موقع المقالات/ بتاريخ (٢٠/١١/٢٠١٢م).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فقد اشتملت الفاتحة على أصول الدين وفروعه، عقيدة وعبادة وافتقارًا إلى الله بطلب الهداية والدلالة إلى الصراط المستقيم، والثبات عليه، وفيه معنى طلب الهدايتين، ولا يتم ذلك إلا بشرع ودين، ولا يتم شرع ودين إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وفيها أخبار وقصص الأمم الغابرة، وبينت طريق السعداء وطريق الأشقياء.

ولقد وصف الله تعالى سورة الفاتحة بأنها:

«سبعًا من المثاني»، والمثاني هي التي تكرر فيها المواعظ والعبر، وموضوعاتها متكرر في القرآن كله.

ولقد وصفها سبحانه بأنها:

«القرآن العظيم» لعظم ما حوته في طيات آياتها من موضوعات، والقرآن العظيم معطوف على السبع المثاني من عطف العام على الخاص.

وسميت بـ «أم القرآن»:

لاشتمالها على معاني القرآن كله، من حمد لله تعالى وثناء عليه بما سمى ووصف به ذاته المقدسة من أسمائه الحسنى وصفاته العلى، وبيان أوامره ونواهيه وثوابه وعقاب المترتب على وعده ووعيده، ذلك لأن موضوعات القرآن كله مرجعها ومردها إلى موضوعاتها، لأن محتوياتها مشتملة على أنواع مقاصد القرآن الكريم كله.

والفاتحة سورة محكمة، وكذلك آياتها وموضوعاتها محكمة، قال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [آل عمران:٧].

وأما عموم سور القرآن فمنها المحكم ومنها المتشابه، فإذا رُدَّ المحكم للمتشابه صار القرآن كله محكمًا، ونعني بذلك فاتحة الكتاب التي حوت كل معاني القرآن.

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.

المطلب الثالث: بيان المعنى الإجمالي للسورة

لقد «اشتملت هذه السورة الكريمة وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثّناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدّين، وعلى إرشاده عبيده إلى سؤاله والتّضرّع إليه، والتّبرّؤ من حولهم وقوّتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهيّة تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريكٌ أو نظيرٌ أو مماثلٌ، وإلى سؤالهم إيّاه الهداية إلى الصّراط المستقيم، وهو الدّين القويم، وتثبيتهم عليه حتّى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصّراط الحسّيّ يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنّات النّعيم في جوار النّبيّين، والصّدّيقين، والشّهداء، والصّالحين.

واشتملت على التّرغيب في الأعمال الصّالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتّحذير من مسالك الباطل؛ لئلّا يُحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضّالّون[١٤٢].

ولقد افتتح الرب جل في علاه الله هذه السورة، التي افتتح بها كتابه-بحمده سبحانه- فقال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾.

حمد الله نفسه العلية قبل أن يحمده حامد، فهو سبحانه المستحق للمحامد كلها.

---

(١٤٢) تفسير ابن كثير (١/١٤٣-١٤٤).

شبكة الألوكة www.alukah.net

و ﴿ الْحَمْدُ ﴾: مبتدأ مرفوع.

وقوله: ﴿ لِلَّهِ ﴾جار ومجرور [على التعظيم والإجلال والتبجيل لرب العزة والجلال] (١٤٣).

والجار والمجرور متعلق بمحذوف، خبر المبتدأ، تقديره: ثابت أو واجب(١٤٤)(١٤٥).

ويفهم من هذا وجوب لزوم الحمد دائمًا لله تعالى.

واللام في لفظ الجلالة لها معنيان:

المعنى الأول: الاختصاص، فيكون المعنى على ذلك أن الله تعالى مختص بجميع المحامد وحده سبحانه وتعالى.

والمعنى الثاني: الاستحقاق، فيكون المعنى: أن الله تعالى مستحق لجميع المحامد التي تليق بروبيته للعالمين، وتربيته لخلقه بنعمه وإحسانه وإنعامه وإفضاله.

وقد أشار لمثله هذا المعنى أو قريب منه بعض أهل التفسير، منهم العلَّامة ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره للفاتحة.

و﴿ الْحَمْدُ ﴾ وصفُ المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ الكمال الذاتي والوصفي والفعلي؛ فهو كامل في ذاته وصفاته وأفعاله؛ ولا بد من قَيْد، وهو «المحبة والتعظيم»؛ قال أهل العلم: «لأن مجرَّد وصفه بالكمال بدون محبة ولا تعظيم، لا يُسمَّى حمدًا؛ وإنما يُسمَّى مدحًا»(١٤٦) اهـ.

و﴿ الْحَمْدُ ﴾ يكون بالثناء على رب العزة بجميع صفات الجلال والكمال، والثناء عليه سبحانه وتعالى بأفعاله الكريمة والتي مدارها بين فضله سبحانه وتعالى وعدله، فالله سبحانه وتعالى له الحمد الكامل التام من جميع الوجوه.

«والحمد ضد الذَّمِّ، والحمد خبر بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذَّمُّ خبر بمساوئ المذموم مقرون ببغضه، فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بُغضه، وهو -سبحانه- له الحمد في الأولى والآخرة.

وأول ما نطق به آدم: الحمد لله رب العالمين، وأول ما سمع من ربه: يرحمك ربك، وآخر دعوى أهل الجنة: أن الحمد لله رب العالمين، وأول مَن يدعى إلى الجنة الحمَّادون، ونبينا محمد ﷺ صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه، وهو صاحب المقام المحمود الذي يَغبِطه به الأولون والآخرون؛ فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود، ولا يكون حمد إلا بحب المحمود، وهو -سبحانه- المعبود المحمود»(١٤٧)؛ اهـ.

---

(١٤٣) ما بين المعكوفين من إضافة الباحث تأدبًا مع الرب العظيم وذاته العلية سبحانه وتعالى.

(١٤٤) الجدول في إعراب القرآن (١/ ٢٣). الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة-دار الرشيد ومؤسسة الإيمان- المؤلف: محمود صافي الناشر: دار الرشيد - مؤسسة الإيمان رقم الطبعة: ٣ — ١٤١٦هـ -١٩٩٥م-طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العامة بدار الرشيد عدد المجلدات: ١٦.

(١٤٥) محمود بن عبد الرحيم صافي- من أعلام مدينة (حمص) السورية، وهو مؤلف أول كتاب كامل مفصّل في إعراب القرآن وصرفه وبيانه؛ ويُعرف باسم (الجدول في إعراب القرآن، وصرفه، وبيانه، وكانت وفاته سنة (١٣٧٦هـ).

(١٤٦) ينظر: تفسير العلَّامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- (٢/ ٥٠).

(١٤٧) منهاج السنة النبوية (٥ / ٤٠٥). منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.

شبكة الألوكة www.alukah.net

والألف واللام في ﴿ الْحَمْدُ ﴾ للاستغراق، ليعم جميع المحامد، ولتكون كلها لله وحده لا شريك له، وفي ذلك إيذانًا لعباده أن يحمدوه على إنعامه وإفضاله ويشكروه على جزيل نعمه وآلائه، فيكون حمد العباد لخالقهم باللِّسان والجنان والأركان، فيكون نطقًا وإقرارًا وثناءً على الله المنعم المتفضل باللسان، وتصديقًا واعترافًا بالنعم بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، وفيه حثّ لهم على تعبيد نعمه له سبحانه واستعمالها فيما يقربه لديه ويرضيه، فلا يستعينوا بنعمه على معصيته، فيكون ذلك منهم جحودًا لها ونكرانًا وكفرانًا.

«فيجب على كلِّ مكلَّف أن يَعتقد أنَّ الحمد على الإطلاق إنَّما هو لله، وأنَّ الألف واللام للاستغراق لا للعَهد، فهو الذي يستحقُّ جميعَ المحامد بأسرِها، فنحمده على كلِّ نعمة وعلى كلِّ حالٍ بمحامده كلِّها، ما عُلِم منها وما لم يُعلم...، ثمَّ يجب عليه أن يسعى في خصال الحمد؛ وهي التخلُّق بالأخلاق الحميدة والأفعالِ الجميلة». اهـ [١٤٨].

والرب العظيم الغني عن خلقه أجمعين، يحب من عباده أن يحمدوه، فلما حمد الله ذاته العلية فإنه تعالى يحب ذلك أيضًا من عباده، ويدل على ذلك ما ثبت صريحًا من حديث الأسود بن سريعٍ[١٤٩] قال: قلتُ: يا رسُول الله، ألا أنشدُك محامِد حمدتُ بها ربِّي تبارك وتعالى، قال: «أما إن ربك –عز وجل – يحب أن يُحمد». زاد في رواية: «ولم يستزده على ذلك»[١٥٠].

يقول ابن المبرد الحنبلي[١٥١]:

احمد لربّك في أمُورك كُلَها وافزع إليه في الصعاب يحُلها

واقرع بكف الذل بابَ عطائه من في الوجود سوى الإله يبُلها

وقوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، العالمين جمع عالم، والعالم جمعٌ لا مفرد له من لفظه، وكل ما سوى الرب سبحانه وتعالى عالم، وكل منا واحدٌ من هذا العالم.

و(الرَّبُّ) هو المالك والصاحب والمتصرف في ملكه، المدبر لشؤون خلقه من الخلق والرزق وتدبير جميع أمورهم وإصلاح شأنهم ورعايتهم، فلفظ الربّ يطلق على تلك المعاني جميعًا.

---

(١٤٨) الأسنى في شرح الأسماء الحسنى (١/١٩٠)

(١٤٩) الأسود بن سريع التميمي، صحابي وفارس وشاعر، عاش في البصرة، وشهد مع الرسول ﷺ في أربع من غزواته. أُسد الغابة في معرفة الصحابة. (١/ ٢٢٩).

(١٥٠) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧٧٤٥)، السنن الكبرى، النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه، شعيب الأرناؤوط، قدم له :عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الأولى،١٤٢١هـ -٢٠٠١ م. وأحمد (٣/٤٣٠)، والطبراني في الكبير (٨٢٠)، والحاكم (٣/٦١٤) والزيادة له وقال: صحيح الإسناد! ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٧٩).

(١٥١) ابن المِبْرَد (يوسف بن حسن)، (٨٤٠-٩٠٩هـ) يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المبرد، علَّامة متفنن، من فقهاء الحنابلة، من أهل الصالحية، بدمشق ينظر ترجمته في: شذرات الذهب (٨ / ٤٢)، والضوء اللامع. والمبرد هذا يعرف أيضا: بابن عبد الهادي وهو غير ابن عبد الهادي الجماعيلي الصالحي، وهو غير المبرد (النحوي، اللغوي) (ت ٢٨٦ هـ)، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبا العباس، ولد سنة (٢١٠هـ)، شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية. ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠)، تاريخ دمشق (٥٦ / ٢٤٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/٥٧٦).

وكلمة الرب: إذا أطلقت فإنها تكون علمًا على الذات الإلهية، ولا يجوز ولا يصلح إطلاقها أبدًا إلا على الرب العظيم جل في علاه، ولكن يجوز إطلاقها على غيره سبحانه من خلقه بشرط أن تكون مقيدة بالإضافة تقول: رب الدابة، ورب البيت، ونحو ذلك، ومنه قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ في خبره مع أبرهة الحبشي لما ساق الإبل وأراد هدم الكعبة المشرفة: «أنا رب الإبل وللبيت رب يحميه»(١٥٢) (١٥٣).

وربوبية الله تعالى لخلقه على ضربين:

الضرب الأول: الربوبية العامة بخلقه أجمعين، فهو الذي خلقهم ورزقهم ودبر شؤونهم، وأنعم عليهم بكل النعم وملك أمرهم، ودبر لهم شؤون معاشهم، وهذه ربوبية عامة تشمل كل خلقه مؤمنهم وكافرهم برّهم وفاجرهم.

والضرب الثاني: ربوبية خاصة لعباده المتقين، يربيهم ربهم بالإنعام عليهم بهدايتهم سبل السلام، ويوفقهم لذلك، ويدفع ويمنع عنهم ما يصرفهم عن الهداية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويعصمهم من الضلالة والغواية بعد الرشاد والهداية. ويربيهم بصلاح شأنهم كله ورعايتهم وتسديدهم ونصرتهم وتوفيقهم في كل شؤونهم.

وربوبية الله تعالى تشمل المعنيين جميعًا.

و ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ هو الخالق لجميع العوالم، ما علمنا منها وما لم نعلم، وهو ربّها الذي يدبّر جميع أمرها قاطبة، فيسوق إليها أرزاقها وأقواتها، وهو المالك لجميع أمرها، المتصرف وحده في جميع شؤونها، فلا يملك أحد من تلك العوالم لنفسه نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وكل تلك العوالم كلها لا غنى لها عن فضله ورحمته طرفة عين ولا أدنى من ذلك، فكلهم فقراء إليه وإلى فضله ورحمته فقرًا دائمًا، فكل ما هم فيه من نعم وفضل، فمن واسع جوده وكريم عطائه وواسع رحمته وإحسانه، وكل ما صرف عنهم من البلاء والشقاء والضنك فهومن تصريفه لشؤون خلقه بتدبيره ورحمته، ففقر جميع تلك العوالم لرب العالمين فقر دائم لا ينقطع، وهو مع ذلك سبحانه القيوم على شؤون تلك العالمين

---

(١٥٢)السيوطي: الدرر المنتثرة (١٢٢)، والأسرار المرفوعة ملّا علي قاري (٢٩٧).

(١٥٣)السيوطي هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين: إمام حافظ مؤرخ أديب. (٨٤٩ -٩١١ هـ) له نحو (٦٠٠) مصنف، من أشهرها: الإتقان في علوم القرآن، لباب النقول في أسباب النزول، تفسير الجلالين وغيرهم، ينظر: الزركلي، الأعلام،(٣/ ٣٠٢). بيان موجز لعقيدة السيوطي: جاء في فتاوى اللجنة الدائمة(١٢ / ٩٨) «والعلماء الكبار- مثل السيوطي وغيره- ينبه على أخطائهم، ويستفاد من علمهم، ولهم فضائل تغطي على ما عندهم من أخطاء، لكن الخطأ لا يقبل منهم ولا من غيرهم».

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- في نقده لقول السيوطي في الإتقان: (إن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ وجاء به إلى محمد:) «هذه المقالة اغترَّ بها الكثير من الجهلة وراجت عليهم، والسيوطي - رحمه الله- مع طول باعه وسعة اطلاعه وكثرة مؤلفاته؛ ليس ممن يعتمد عليه في مثل هذه الأصول العظيمة، وهذه (المقالة) مبنّية على أصل فاسد وهو القول بخلق القرآن، وهذه هي مقالة الجهمية والمعتزلة ومن نحى نحوهم، ويلزم هذه المقالة من الكفر والإلحاد الزندقة وإنكار الرسالة ووصف الله بالخرس وتشبيهه بآلهة المشركين الأصنام التي لا تنطق و غير ذلك من المحاذير الكفرية ما يعرفه أهل العلم»] مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم- رحمه الله- (١: ٢١٤-٢٣٩).

وقد تطرقت بعض الدراسات المعاصرة إلى عقيدته منها رسالة للدكتور سعيد إبراهيم مرعي خليفة، وهي بعنوان: جلال الدين السيوطي وآراؤه الاعتقادية عرض نقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وكذلك رسالة للباحث طلعت جبر المجدلاوي وهي بعنوان: مواقف الإمام السيوطي من الإلهيات والنبوات دراسة ونقدًا.

شبكة الألوكة www.alukah.net

غني عنهم أجمعين، قائم بنفسه لا حاجة له لأحد من خلقه، كل ذلك يدعو المؤمن في إعمال فكره وقلبه وعقله في ربوبية رب العالمين وعظمته، ويقدره حق قدره بأن يعبده سبحانه حق عبادته، وألا يصرف شيئًا من تلك العبادة لأحد سواه، لا لنبي مرسل ولا لملك مقرب، وألا يجعل معه ألهًا آخر، ربنا مخاطبًا جميع الناس في أول نداء في القرآن: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) ﴾[البقرة]:

فأمرهم ربهم جميعًا بعبادته، ممتنًّا عليهم بربوبيته بقوله سبحانه: ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾هما اسمان عظيمان لله تعالى وصف بهما ذاته العلية.

واسم ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾: يدل على صفة ذاتية لله تعالى، وهو سبحانه رحمن موصوف بتلك الصفة العظيمة الخاصة به سبحانه دون سواه من خلقه.

واسم ﴿ الرَّحِيمِ﴾: يدل على صفة فعلية للرب جل في علاه، وهي صفة فعلية مبناها على خصوص رحمته التي يرحم بها من يشاء من خلقه، وهي أخص بعباده المؤمنين تعالى: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)﴾ [الأحزاب].

وهما اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن اسم ووصف لا يُسمَّى ولا يوصف بهما غير الله تعالى أبدًا، واسم الرحمن فيه مبالغة أشد من اسم الرحيم؛ لأن الرحمن متعلق برحمته سبحانه العامة التي تشمل عموم خلقه مؤمنهم وكافرهم برّهم وفاجرهم، كما قال: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥)﴾[طه] فذكر صفة استوائه على العرش مقرونة باسمه الرحمن ليعم بتلك الرحمة العامة عموم خلقه من مؤمن وكافر وبرّ وفاجر، فكما أنهم عمهم عرشه، فتعمهم كذلك رحمته.

أما الرحيم، فهذه رحمة خاصة بالمؤمنين قال ربنا:﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) ﴾ [الأحزاب] وقد نص على ذلك جمع من أهل التفسير، وهو كذلك مأثور عن بعض السلف، وذكر الاسمين الكريمين ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ بعد قوله: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، فيه تنبيه أن تلك الربوبية مبناها على الرحمة.

ومما سبق يتبين أن اسما:﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ اسمان ثابتان لله على الحقيقة لا المجاز، وقد دل عليهما النقل والعقل والحس، فلا يُلتفت لمن أنكر تلك الصفة العظيمة وأولها إلى الإفضال والإحسان والإنعام وإرادة الله تعالى ذلك بخلقه، فالحمد لله على نعمة الهداية للحق، ونعوذ بالله من الغواية بعد الهداية.

وقوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾.

والمراد بيوم الدين هنا يوم الحساب والجزاء على الأعمال، ففيه معنى الإقرار بإثبات المعَاد، وإثبات الجزاء والثواب والعقاب على الأعمال.

وإنما سُمِّي بيوم الدين: لأن الخلائق يحاسبون ويدانون بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرٌ، قال ربنا: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾[الزلزلة].

والمالك مَن له كمال الملك وتمامه، فهو سبحانه مَلِكٌ مالكٌ، أي: مَلِكٌ له مُلْكٌ، و(مالك) و(ملك)، قراءتان متواترتان(١٥٤).

---

(١٥٤) (مالك): قرأها عاصم والكسائي من السبعة، وكذا يعقوب وخلف العاشر من العشرة.

(ملك): هي قراءة: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وحمزة من السبعة، وأبو جعفر من العشرة.

ومن كان كذلك فإن له الأمر والنهى والثواب والعقاب، وهو سبحانه المتفرّد بالحُكْم والفصْل والقضاء بين العباد في هذا اليوم العظيم، وفي يوم الدين يظهر ذلك عيانًا للخلائق أجمعين، فكل مُلك للمخلوقين قد زال، واستوى المالك والمملوك، أما مالك الملك الأعظم، فلا يبقى سواه.

قال تعالى: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ [غافر]، ومَن ملك يوم الدين ذلك الملك الأكبر الباقي الدائم، فلا شك أنه يملك ما دونه، فهو سبحانه مالك الدنيا والآخرة، والإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة كما هو معلوم من دين الله بالضرورة.

«وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين وذلك عام في الدنيا وفي الآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يَدَّعِي أحد هناك شيئًا ولا يتكلم أحد إلَّا بإذنه، قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)﴾ [النبأ].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٥][١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ أي: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك، وتقديم المعمول في ﴿ إِيَّاكَ ﴾ على فعلي (نعبد ونستعين)، يفيد الحصر والاختصاص، كما هو معلوم في اللغة، فيكون المعنى: لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وتكررت كلمة إياك لتفيد الاهتمام والتعظيم للرب جل في علاه. ومثله قول الله تعالى: كقوله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠)﴾ الآية [البقرة]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١)﴾ الآية [البقرة].

وإياك نعبد تنفي الشرك بأنواعه، وإياك نستعين تنفي الاغترار بالحول والقوة، وتثبت الافتقار الكامل التام لله والمذلة.

والآية متضمنة لتوحيد العبادة بأنواعها كلها، وأمثلة ذلك في كتاب الله كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) ﴾[البقرة].

«والعبادة: اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[١٥٦].

والعبادة لها عمودان وركيزتان لا تقوم إلا بهما وهما: كمال الذل وكمال المحبة.

و«العبادة المأمور بها تتضمّن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له... ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله»[١٥٧].

و«لفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب، فإنهم يقولون: قلب متيَّم إذا كان متعبدًا للمحبوب والمتيم المتعبد، وتيَّم الله عبده»[١٥٨].

---

(١٥٥) تفسير ابن كثير (١/١٣٤).

(١٥٦) العبودية (ص٣٣-٣٥).

(١٥٧) المرجع السابق (ص٣٣-٣٥).

(١٥٨) العبودية (ص١٥٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال ابن القيم في النونية –رحمه الله–:

وعباد ة الرحمن غاية حبه..... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر.....ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله.....لا بالهوى والنفس والشيطان.

«والناس في هذا على درجات متفاوتةٍ، لا يحصي طرقها إلا الله، فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم وأقربهم إلى الله وأقواهم وأهداهم أتمهم عبودية لله من هذا الوجه»(١٥٩).

ولقوله سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ شبيهان في السنة المطهرة من كلام المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

الأول: في قوله ﷺ في خطبة الحاجة: «إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره» (١٦٠).

والثاني: في قوله ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنه المشهور: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»(١٦١).

ولا سعادة للبشرية ولا طمأنينة ولا راحة ولا نجاة لها من الآفات والمهلكات إلا بتحقيق العبودية الكاملة التامة لرب البرية.

وإنما قدم العبادة وأخر الاستعانة مع دخولها في العبادة ضمنًا، لتأكيد أمر الاستعانة، ولبيان مكانتها وقدرها ولضرورة حاجة العبادة إليها، وأنه لا توفيق ولا هداية للعبد إلا بعون الله وتوفيقه تسديده.

«وقدَّم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده»(١٦٢).

يقول ابن القيم رحمه الله:

«ثم إن القلب يعرض له مرضان عظيمان، إن لم يتداركهما العبد ترامیا به إلى التلف ولا بد، وهما الرياء، والكبر، فدواء الريا ء ب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ودواء الكبر ب ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾:

وكثيرًا ما كنت أسمع شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه(١٦٣).

---

(١٥٩)العبودية (ص١٣٣-١٣٤).

(١٦٠) هذه هي خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يعلمها أصحابه ﷺ، وهي في الابتداء عامة، في خطبة النكاح، وغيرها، وهي مروية عن: ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وابن عباس، وغيرهم ﷺ.

أخرجها: أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وغيرهم. ولقد اخترت رواية عن ابن مسعود عند أحمد (٣٧٢٠ و ٤١١٥)، وأبو داود (٢١١٨)، والنسائي في المجتبى (٣٢٧٧)، والطيالسي في المسند (٣٣٦)، وأبو يعلى في المسند (٥٢٣٣)، والحاكم في المستدرك (٢٧٤٤).

وتنظر مخرجة، تخريجًا علميًا متقنًا، في جزء حديثي، باسم: «خطبة الحاجة» لفضيلة محدث الأمة: محمد ناصر الدين الألباني– رحمه الله–.

(١٦١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٨٠٢)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، و الطبراني (١٢٨٢٠) (١٢٩٨٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٧٤).

(١٦٢) تفسير ابن سعدي (١/٣١).

(١٦٣) فائدة: حول معنى: «قدس الله روحه»، أي: طهرها، وهو بمعنى طلب المغفرة، هذا الدعاء مُستقى من اسم الله (القدوس) ومعناه أي: المبارك الطاهر الذي تعالى عن كل دنس، وقيل: تقدسه الملائكة الكرام وهو سبحانه الممدوح بالفضائل والمحاسن.

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تدفع الرياء، و ﴿إِ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تدفع الكبرياء.

فإذا عوفي من مرض الرياء ب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ومن مرض الكبرياء والعجب بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ومن مرض الضلال والجهل ب ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عوفي من أمراضه وأسقامه، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة، وكان من المنعم عليهم غير المغضوب عليهم وهم أهل فساد القصد، الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه والضالين وهم أهل فساد العلم، الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه.

وحق لسورة تشتمل على هذين الشفاءين أن يُسْتَشْفَى بها من كل مرض، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذي هو أعظم الشفاءين، كان حصول الشفاء الأدنى بها أولى، فلا شيء أشفى للقلوب التي عقلت عن الله وكلامه، وفهمت عنه فهما خاصًّا، اختصها به من معنى هذه السورة(١٦٤).

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

الصراط في المفهوم اللغوي: هو الطريق السهل(١٦٥). والسبيل الواضح(١٦٦).

والصراط هنا: هو الإسلام، والهداية إليه هي التمسك والاعتصام به، فما أوضحه وما أسهله.

والهداية إلى الصراط: هي معرفة دين الإسلام. وتعلمه والعمل به، وجحد كل دين سواه.

ومما يؤكد أن الصراط هو الإسلام ما ثبت في مسند أحمد من حديث النَّواس بن سمعان مرفوعًا في وَصف الصراط بأنه هو الإسلام، قوله ﷺ مفسرًا له: «والصِّراطُ: الإسلامُ، والسُّوران: حُدُودُ الله، والأبوابُ المفتَّحةُ: محارمُ الله، وذلك الدَّاعي على رأس الصِّراط: كتابُ الله، والدَّاعي من فوق الصِّراط: واعظُ الله في قلب كُلِّ مُسلمٍ»(١٦٧).

ولقد «أجمعَت الأمَّةُ من أهل التأويل جميعًا على أنَّ الصراطَ المستقيمَ هو: الطريقُ الواضحُ الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب»(١٦٨).

وفي ذلك يقول ابن القيم في نونيته:

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن وهو ها هنا بمعنى الدعاء، والمعنى المقصود هنا: هو الدعاء بالتطهير من الذنوب والخطايا. وينظر: اللسان، والنهاية، مادة (قدس)..ففيها ذِكرُ هذا المعنى..وعلى هذا فمعنى عبارة: قدس الله روحه: هو الدعاء كما تبين المعنى آنفًا. فلا يُمنع الدعاء بذلك.

وختامًا: فإنه لا شك أبدًا في أن الدعاء الذي ليس فيه محظور شرعي لا يمنع بتاتًا، وإن كان الدعاء للميت بعموم الثابت من الأدعية أفضل وأكمل وأسلم.

(١٦٤) مدارج السالكين (١/٧٨)، بتصرف يسير. مدارج السالكين: الإمام ابن قيم الجوزية –تحقيق: محمد حامد الفقي –دار المعرفة، بيروت –الطبعة الثانية، ١٣٥٩ هـ.

(١٦٥) والطريق عمومًا لا يقتضي السهولة؛ ينظر: الفروق اللغوية للعسكري (١/٢٩٨).

وقال في القاموس المحيط (ص٦٧٥): «الصِّراطُ –بالكسر–: الطريقُ، وجِسْرٌ مَمْدُودٌ على متْنِ جَهَنَّمَ».

(١٦٦) لسان العرب (/٣١٣).

(١٦٧) أخرجه الحاكم (٢٤٥)، والنسائي في الكبرى (١١١٦٩)، والترمذي (٢٨٥٩) وأحمد (١٧٩٠٩) وهو في صحيح الجامع (٣٨٨٧).

(١٦٨) تفسير الطبري(١/١٧٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

إذًا فـ«[الصراط] (١٦٩) المستقيم الذي ليس فيه عوج، قال الله -تعالى- لنبيه ﷺ:

﴿وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِراطِ اللَّهِ﴾[الشورى: ٥٢-٥٣]؛ فالرسول ﷺ بعثه الله ليهديَ إلى صراط مستقيم، وهكذا الرسل جميعًا، كلهم بعثوا ليهدوا إلى الصراط المستقيم يعني: يدعون الناس إلى الصراط المستقيم وهو توحيد الله وطاعة أوامره وترك نواهيه والوقوف عند حدوده، هذا صراط الله المستقيم»(١٧٠).

«والذي هو أَولى بتأويل هذه الآية عندي - أعني: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾أنْ يكونَ معنيًّا به: وَفِّقنا للثَّبات على ما ارتضيتَه [كما](١٧١) وَفَّقتَ له مَنْ أنعمتَ عليه من عبادِك من قولٍ وعملٍ، وذلك هو الصِّراط المستقيم؛ لأن من وُفِّقَ لِما وُفِّقَ له مَن أَنعم اللهُ عليه من النبيّين والصدّيقين والشهداء، فقد وُفِّقَ للإسلام وتصديقِ الرسلِ والتمسُّكِ بالكتاب والعملِ بما أمر الله به، والانزجارِ عمَّا زَجره عنه، واتّباعِ منهج النبيّ ﷺ ومنهاجِ أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وكلِّ عبدٍ لله صالحٍ، وكلُّ ذلك من الصراط المستقيم، وقد اختلفتْ تراجمةُ القرآن في المعنيّ بالصراط المستقيم، يشمل معانيَ جميعِهم في ذلك ما اخترنا مِنَ التأويل فيه(١٧٢).

«وَذَكَرَ الصراطَ المستقيم مُفردًا مُعرَّفًا تعريفين:

تعريفًا باللام، وتعريفًا بالإضافة، وذلك يُفيد تعيُّنَه واختصاصه، وأنه صراطٌ واحدٌ، وأمَّا طُرُقُ أهلِ الغضب والضلال، فإنه سبحانه يجمعها ويُفردها، كقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾[الأنعام: ١٥٣]، فوَحَّدَ لفظَ الصراط وسبيله، وجمع السُّبُلَ المخالفة له(١٧٣).

وإنما الهداية: هدايتان مستقلتان، ولا تتم سعادة البشرية إلا بتحقيق الهدايتين جميعًا:

أما الهداية الأولى: فهي هداية دلالة وإرشاد إلى الصراط المستقيم، ولا تكون هذه الهداية إلا بمعرفة الحق وطريق الرشاد، ولا يتم ذلك إلا بالعلم، ولا يتم العلم إلا بالوحي المتضمن لإرسال الرسل وإنزال الكتب.

أما الهداية الثانية: فهي هداية التوفيق والرشاد واتباع الحق والتمسك والاعتصام به، وتلك الهداية لا يملكها إلا الله، لا يملكها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

فبالهداية الأولى: وهي هداية الدلالة والإرشاد يُعرف الحقُ من الباطل، والتوحيدُ من الشرك، والسنةُ من البدعة، والخيرُ من الشر، والهدى من الضلالة والعمى والغواية.

وبالهداية الثانية: وهي هداية التوفيق والإلهام والرشاد يُتبع الدينُ الحق الذي أُرسلت به الرسلُ وأُنزلت به الكتبُ ويُتمسك به، ويُنبذ ويُجحد ويُترك كلُ دين سواه.

ومما ينبغي أن يُعلم أن الهدايتين متلازمتين لا تنفك واحدة عن الأخرى، ولضرورة حاجةِ العبدِ للهدايتين أُمِرَ العبدُ أن يقف بين يدي ربه في صلاته ضارعًا خاشعًا متذللًا مستكينًا سائلًا لأعظم مطلوب وأجل مرغوب، ألا وهو هداية علام

---

(١٦٩) أضاف الباحث كلمة (الصراط) لاستقامة المعنى.

(١٧٠) مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله- (١٦٨/٢٤).

(١٧١) زاد الباحث كلمة (كما) ليستقيم الكلام.

(١٧٢) ينظر: تفسير الطبري(١ /١٧١).

(١٧٣) مدارج السالكين (٣٧/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الغيوب فيدعوه قائلًا: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾، وهو في ذلك يسأل ربه سؤال اضطرار إلى هدايته التي لا غنى له عنها طرفة عين أو أقل من ذلك أبدًا، ويسأل ربه سؤال مذلة، ويسأله سؤال حاجة وفاقة، ويسأله الهدايتين جميعًا، ويسأله سلوك الصراط والسير والثبات عليه حتى الممات.

ولا شك أن مطلب الهداية أعز مطلب فهو مبنى على رحمة الله وتوفيقه وفضله وإحسانه.

ومن رحمة النبي ﷺ بأمته فإنه يصف لهم حال السائرين على الصراط، تحذيرًا لهم، فيقول ﷺ: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فتقومانِ جَنَبَتَيِ الصِّراطِ يمينًا وشمالًا، فيمرُّ أَوَّلُكُم كالبرقِ»، قال: قُلتُ: بأبي أنتَ وأمِّي، أيُّ شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قالَ: «ألم تَروا إلى البرقِ كيفَ يمرُّ ويرجعُ في طَرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ، ثمَّ كمرِّ الطَّيرِ، وشدِّ الرِّجالِ، تَجري بِهِم أعمالُهُم، ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ، يقولُ: ربِّ سلِّم سلِّم، حتَّى تَعجِزَ أعمالُ العبادِ، حتَّى يجيءَ الرَّجلُ فلا يَستَطيعُ السَّيرَ إلا زَحفًا»، قالَ: «وفي حافتيِ الصِّراطِ كَلاليبُ مُعلَّقةٌ مَأمورةٌ بأخذِ من أُمِرَتْ بِهِ؛ فمَخدوشٌ ناجٍ، ومَكْدوسٌ في النَّارِ»(١٧٤).

ف «تفكَّر الآن فيما يحل بك من الفزع بفؤادك إذا رأيت الصراط ودقَّته، ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحته، ثم قرَع سمعَك شهيق النار وتغيُّظُها، وقد كُلِّفت أن تمشي على الصراط، مع ضعف حالك، واضطراب قلبك، وتزلزل قدمك، وثقل ظهرك بالأوزار المانعة لك من المشي على بساط الأرض، فضلًا عن حدة الصراط، فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك، فأحسست بحدَّته، واضطررت إلى أن ترفع قدمك الثانية، والخلائق بين يديك يزِلُّون ويتعثرون، وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكَلاليب، وأنت تنظر إليهم كيف ينكسون إلى جهة النار رؤوسهم وتعلو أرجلهم، فيا له من منظر ما أفظعَه، ومرتقًى ما أصعبَه، ومجال ما أضيقَه فاللهم سلِّم سلم» (١٧٥).

وقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ «يتضمَّن بيان أن العبد لا سبيلَ له إلى سعادته إلا باستقامته على الصراط المستقيم، وأنه لا سبيل له إلى الاستقامة إلا بهداية ربه له، كما أنه لا سبيل له إلى عبادته إلا بمعونته، ولا سبيل له إلى الاستقامة على الصراط إلا بهدايته»(١٧٦).

و«على قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار، يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط؛ فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطيف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يحبو حبوًا، ومنهم المخدوش المسلَّم، ومنهم المكردس(١٧٧).

---

(١٧٤) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤).

(١٧٥) التذكرة للقرطبي (٧٥٥). التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ط. المنهاج) ؛ المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي؛ المحقق: الصادق بن محمد بن إبراهيم؛ حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة؛ الناشر: دار المنهاج؛ سنة النشر: ١٤٢٥؛ عدد المجلدات: ٣؛ رقم الطبعة: ١؛ عدد الصفحات: ١٥٣٩.

(١٧٦) ينظر: الفوائد؛ لابن قيم الجوزية (ص: ١٩) بتصرف يسير.

(١٧٧) مدارج السالكين (١/١٦).

فعلى العبد الناصح لنفسه، المكرم لها، الحريص على فكاك رقبته من النار، أنْ يجد في طلب الهدايتين جميعًا، هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام والرشاد، وعليه أن يبذل عمره كله في هذا المطلب العظيم، وأن يبذل دونه الهمم العوالي والمهج الغوالي، ذلك لأنه أعز مطلوب، وأجَل مرغوب، وأن يلح على الله في سؤال الهداية، وقد أمر الله عباده بذلك.

كما ثبت ذلك في أشرف حديث لأهل الشام عند مسلم من حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي ذرٍّ مرفوعًا، وهو حديثُ قدسيٌّ: «يا عِبَادِي، كلُّكم ضالٌّ إلا مَن هَديتُه، فاسْتَهدُوني أَهدِكُم»(١٧٨).

– والسورة قد «جمعت بين التوسل إلى الله تعالى بالحمد والثناء على الله تعالى وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة»(١٧٩).

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾.

فقَوْلُهُ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾.

«أَيْ: مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْفِيقِ، قَالَ عِكْرِمَةُ: مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَهُمُ الْأَنْبِيَاء عليهم السلام، وَقِيلَ: هُمْ كُلُّ مَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ ﴾ [النساء: ٦٩](١٨٠).

فالمنعم عليهم إذًا: هم الذين قال الله تعالى عنهم في سورة النساء: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ [النساء].

«وفيه الإشارةُ إلى الاقتداء بالسلف الصالح»(١٨١) (١٨٢).

وقوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾. «أي: غير الذين غَضِبت عليهم، وهم اليهود. وقوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ أي: ولا الذين ضلُّوا، وهم النصارى، فكأن المسلمين سألوا الله –تعالى– أن يهديَهم طريق الذين أنعم عليهم، ولم يغضب عليهم كما غضب على اليهود، ولم يضلوا عن الحق كما ضلَّت النصارى»(١٨٣).

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، قوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) ﴾[البقرة]، وقال في المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً

---

(١٧٨) رواه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر الغفاري.

(١٧٩) مدارج السالكين (١/٢٤).

(١٨٠) تفسير البغوي (١/٥٤).

(١٨١) فتح البيان في مقاصد القرآن:(١/٥٢) أبو الطيب محمد صديق خان.

(١٨٢) وهو الشيخ محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القِنَّوجِي البخاري الحسيني ولد عام(١٢٤٨هـ) ببلدة (بانس بريلي). نقلًا عن الموسوعة الحرة.

(١٨٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي(١/٢).

عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠) ﴾[المائدة]،وقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) ﴾[المائدة][١٨٤].

وفي المسند وسنن الترمذي من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»[١٨٥].

والحاصل من جراء ذلك كله أن السبل المذكورة ثلاثة سبل:

الأول: سبيل المنعم عليهم.

الثاني: سبيل المغضوب عليهم.

الثالث: سبيل الضالين.

ويتبين من ذلك أيضًا:

أن أهل السبيل الأول هم الذين قال الله فيه: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ويدخل ضمنًا معهم المؤمنون المهتدون الذين أنعم الله تعالى عليهم بطاعته وعبادته.

وأن أهل السبيل الثاني هم: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود، وكل من سلك سبيلهم ممن عرف الحق ولم يتبعه ولم يعمل به.

وأن أهل السبيل الثالث هم: ﴿ الضَّالِّينَ ﴾ وهم النصارى، ومن سلك سبيلهم ممن عبد الله على جهالة وضلالة، لذا فكل من عرف الحق من علمائنا ولم يعمل به ففيه شبه من اليهود، وكل من عبد الله على ضلالة من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

ولما كان اليهود أمة عناد خُصوا بما يناسبهم ألا وهو الغضب، ولما كانت النصارى أمة جهل خُصوا أيضًا بما يناسبهم ألا وهو الضلال.

ولذلك «فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضب، بخلاف من لم يعلم.

والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتباع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود: الغضب، قال الله فيهم:﴿ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ﴾[المائدة: ٦٠] وأخص أوصاف النصارى: الضلال، قال سبحانه فيهم: ﴿قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾[المائدة:٧٧]، وبهذا جاءت الأحاديث والآثار. وذلك واضح بين»[١٨٦].

وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ(ت:١٩٨هـ):

---

(١٨٤) تفسير ابن كثير (١/١٤٣).

(١٨٥) أخرجه البخاري(١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦).

(١٨٦) تفسير ابن كثير (١/ ١٤١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

«كَانُوا يَقُولُونَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادِنَا فَفِيهِ شَبَهٌ مِنْ النَّصَارَى. وَكَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ السَّلَفِ يَقُولُ: احْذَرُوا فِتْنَةَ الْعَالِمِ الْفَاجِرِ وَالْعَابِدِ الْجَاهِلِ فَإِنَّ فِتْنَتَهُمَا فِتْنَةٌ لِكُلِّ مَفْتُونٍ.

فَمَنْ عَرَفَ الْحَقَّ وَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ أَشْبَهَ الْيَهُودَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة:٤٤].

وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ بِغَيْرِ عِلْمٍ بَلْ بِالْغُلُوِّ وَالشِّرْكِ أَشْبَهَ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧) ﴾[المائدة] فَالْأَوَّلُ مِنْ الْغَاوِينَ وَالثَّانِي مِنْ الضَّالِّينَ[١٨٧].

الكلام حول قول آمين بعد انتهاء السورة:

و «يستحبّ لمن قرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين (مثل: يس)، ويقال: أمين.

بالقصر أيضًا (مثل: يمين)، ومعناه: اللّهمّ استجب»[١٨٨].

و(آمين): اسم فعل أمر بمعنى: اللّهمّ استجب. فمن قالها بعد الدعاء فكأنه دعا بما أمَّن عليه، فإن كان هو الداعي فيكون قد دعا مرتين.

و «التَّأْمِينُ قَائِمٌ مَقَامَ التَّلْخِيصِ بَعْدَ الْبَسْطِ، فَالدَّاعِي فَصَّلَ الْمَقَاصِدَ بِقَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ إِلَى آخِرِهِ، وَالْمُؤَمِّنُ أَتَى بِكَلِمَةٍ تَشْمَلُ الْجَمِيعَ، فَإِنْ قَالَهَا الْإِمَامُ فَكَأَنَّهُ دَعَا مَرَّتَيْنِ: مُفَصِّلًا ثُمَّ مُجْمِلًا»[١٨٩].

و«اتفق العلماء على أنه يسن للمنفرد والمأموم أن يقول: آمين، فالمنفرد يؤمّن بعد قراءته للفاتحة، والمأموم يؤمن بعد قراءة الإمام»[١٩٠].

والإمام كذلك يجهر بالتأمين لما دلت عليه السنة الثابتة الصحيحة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِذَا أَمَّنَ الْإِمَامُ فَأَمِّنُوا»، قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «آمِينَ»[١٩١].

ومن البدع الظاهرة التي سرت في كثير من بلدان المسلمين، وانتشرت بين العامة انتشار النار في الهشيم: قراءة الفاتحة في مواطن شتى، مثل أن تُقرأ عند عقد صفقات تجارية من بيع أو شراء، أو عند عقود الأنكحة، أو عند التعزية في وفاة ميت، وفي غير ذلك من المواطن، معتقدين حدوث البركة في تلك المواطن بسبب تلك القراءة، ولا شك أن القرآن كتاب مبارك حيثما تُلي وحيثما قُرِئ، ولا يُشكُّ في ذلك أبدًا، لكن هذه المواطن وأمثالها لم يرد فيها قراءة للفاتحة أبدًا، لا عن النبي ﷺ ولا عن خلفائه الأربعة، ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، ولا عن أحد من الأئمة الأربعة، ولا عن أيّ أحد من القرون الثلاثة المفضلة، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

---

(١٨٧) مجموع الفتاوى (١/١٩٨).

(١٨٨) تفسير ابن كثير (١/١٤٤-١٤٧).

(١٨٩) فتح الباري (٢/٣٠٧).

(١٩٠) ينظر: الموسوعة الفقهية (١/١١-١٢).

(١٩١) البخاري (٧٣٨)، ومسلم (٦١٨).

شبكة الألوكة www.alukah.net

و«أهل السنة والجماعة يقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه، لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها»(١٩٢) انتهى.

ولو كان هذا الأمر مشروعًا لبينه النبي ﷺ لأمته وهو مأمور بالبلاغ عن الله – عز وجل – تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة:٦٧].

وهنا «يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا ﷺ باسم الرسالة، وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام»(١٩٣).

يقول فضيلة شيخنا العلَّامة صالح الفوزان(١٩٤):

«والعبادات التي تمارس الآن ولا دليل عليها كثيرة جدًّا، منها: طلب قراءة الفاتحة في المناسبات وبعد الدعاء وللأموات...»(١٩٥) انتهى.

و«قراءة الفاتحة عند التعزية بدعة، فما كان الرسول ﷺ يعزي بقراءة الفاتحة أبدًا، ولا غيرها من القرآن»(١٩٦).

فينبغي للمسلم أن يحرص على اتباع هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه – رضي الله عنهم– واجتناب البدع عملًا بعموم قول الله تعالى: ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[الحشر: ٧].

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.

---

(١٩٢) تفسير ابن كثير (٧/٢٧٨-٢٧٩)

(١٩٣) تفسير ابن كثير (٣/١٥١)

(١٩٤) هو فضيلة الشيخ الدكتور العلَّامة: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان. ولد (١٣٥٤هـ)، وعضو هيئة كبار العلماء، وعضو المجمع الفقهي بمكة المكرمة التابع للرابطة، وعضو لجنة الإشراف على الدعاة في الحج، إلى جانب عمله عضوًا في اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وإمام وخطيب ومدرس في جامع الأمير متعب بن عبد العزيز آل سعود في الملز. ينظر: الموسوعة الحرة.

(١٩٥) البدعة أنواعها وأحكامها (١٥/١٤) من مجموعة مؤلفات الفوزان.

(١٩٦) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣/١٢٨٣). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين –المؤلف :محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) جمع وترتيب :فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان–الناشر: دار الوطن – دار الثري– الطبعة الأخيرة –١٤١٣ هـ–عدد الأجزاء:٢٦.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: بيان بعض ما ورد في زمن وسبب نزولها.

أولًا: أقوال العلماء في زمن نزولها[١٩٧]:

أكثر العلماء على أنها سورة مكية[١٩٨].

وقيل: إنها سورة مدنية[١٩٩].

وقيل: إن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر بالمدينة[٢٠٠].

وقيل: إنها نزلت مرتين: مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة حين حُوِّلت القبلة فصارت مكية مدنية[٢٠١] [٢٠٢].

والحاصل من هذا أن في زمن نزولها أربعة أقوال:

الأول: أنها مكية.

الثاني: أنها مدنية.

الثالث: أنه نزل نصفها بمكة، ونزل نصفها الآخر بالمدنية.

الرابع: أنها نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة.

ولا شك في صحة القول الأول، بأنها مكية، وهذا ما عليه الأكثرون، ومما يدلل على ذلك: أنه «قد صح أنها مكية لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر: ٨٧]، وهو مكي بالنص»[٢٠٣].

و«سورة الحجر مكية بلا اختلاف، ولم يكن الله ليمتن على رسوله ﷺ بإيتائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة، ولا يسعنا القول بأن رسول الله ﷺ قام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا فاتحة الكتاب هذا مما لا تقبله العقول» [٢٠٤].

---

(١٩٧) ينظر: أسباب النزول للواحدي (١٢/١)

(١٩٨) معالم التنزيل للبغوي (٤٩/١)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٠١/١)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٥/١-١٣٦).

(١٩٩) تفرد بهذا القول مجاهد بن جبر، ونُسب للزهري ولا يصح (ذكره الحافظ في الفتح (١٥٩/٨)، وعلى ذلك أكثر أهل التفسير. ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥٢٢/١٠)، البيان لأبي عمرو الداني:١٣٢-١٣٣)، الدر المنثور للسيوطي (٧/١). تفسير السيوطي-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٢٠٠) وهو غريب جدًّا، نقله القرطبيّ عن أبي الليث السّمرقنديّ، وقد نُقِدَ بذلك فيما أعلم، ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٠١/١).

(٢٠١) ينظر: معالم التنزيل للبغوي (٤٩/١)، الكشاف للزمخشري (٩٩/١) والبرهان في علوم القرآن للزركشي (٢٧/١).

(٢٠٢) قال الفيروز آبادي -رحمه الله -بعد ما ذكر القرآن المكي والمدني-: فهذه جملة ما نزل بالمدينة. ولم نذكر الفاتحة لأَنَّه مختلَف فيها: قيل: أُنزلت بمكة، وقيل: بالمدينة؛ وقيل: بكلٍّ مرة. بصائر ذوي التمييز(٩٩/١).

(٢٠٣) أنوار التنزيل للبيضاوي (/٢٥١). تفسير البيضاوي-أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ.

(٢٠٤) أسباب النزول للواحدي (١٧-١٧). تفسير الواحدي-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي ابن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء :١.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد وافق قولُ الواحدي قولَ البيضاوي في الاستدلال على مكية السورة بآية الحجر، وزاد عليه استدلالًا واستنباطًا مقنعًا؛ ألا وهو استحالة أن تفرض الصلاة بمكة وتقام دون أن يُقرأ فيها بفاتحة الكتاب، وقد حقق بعض العلماء هذا القول بذلك الطاهر بن عاشور كما سياتي معنا بعد قليل عند الكلام على ترتيب نزولها.

و «تنبيهٌ يُستنبطُ من تفسير السّبع المثاني بالفاتحة، أنّ الفاتحة مكّيّةٌ، وهو قول الجمهور خلافًا لمجاهدٍ، ووجه الدّلالة أنّه سبحانه امتنّ على رسوله بها وسورة الحجر مكّيّةٌ اتّفاقًا، فيدلّ على تقديم نزول الفاتحة عليها، قال الحسين بن الفضل: هذه هفوةٌ من مجاهدٍ؛ لأنّ العلماء على خلاف قوله، وأغرب بعض المتأخّرين فنسب القول بذلك لأبي هريرة والزّهريّ وعطاء بن يسارٍ»(٢٠٥).

ومما نُظم وقيل في ذلك: قولُ أبي الحسن بن الحصار (ت: ٦٢٠هـ) **في كتابه الناسخ والمنسوخ:**

«المدني باتفاق عشرون سورة والمختلف فيها اثنتا عشر سورة وما عدا ذلك مكي باتفاق».

ثم نَظَمَ قائلًا:

يا سائلي عن كتاب الله مجتهدًا وعن ترتيب ما يُتلى من السور
وكيف جاء بها المختار من مضر صلى الإله على المختار من مضر
وما تقدم منها قبل هجرته وما تأخر في بدو وفي حضر
ليعلم النسخ والتخصيص مجتهد يؤيد الحكم بالتاريخ و النظر
تعارض النقل في أم الكتاب تُؤُولت الحجر تنبيها لمعتبر
أم القرآن و في أم القرى نزلت ما كان للخمس قبل الحمد من أثر (٢٠٦)

والشاهد منها من قول الناظم: «تعارض النقل»

أي: تعارضت الأقوال: يعني: أقوال أهل العلم في الفاتحة، أي: في كونها مكية أو مدنية، ومما يدل على مكيتها ما جاء في سورة الحجر من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) ﴾[الحجر].

ومن المعلوم أن سورة الحجر مكية باتفاق، وقد امتنّ الله تعالى على رسوله ﷺ فيها بقوله: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ ﴾ الآية، فدل على تقدم نزول الفاتحة على سورة الحجر، إذ كيف يحصل الامتنان عليه من الله بما لم ينزل بعد، وبقريب من هذا المعنى أشار غير واحد من أهل التفسير(٢٠٧).

وأخيرًا فإن «الحجر مكية بإجماع. ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكة. وما حفظ أنه كان في الإسلام قط صلاة بغير ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»(٢٠٨) وهذا خبر عن الحكم، لا عن الابتداء، والله أعلم»(٢٠٩).

ثانيًا: ترتيب نزولها:

---

(٢٠٥) فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٥٩/٨).

٢٠٦) وقد أورد هذه المنظومة السيوطي -رحمه الله- في "الإتقان": (٦٢/١).

(٢٠٧) نفس المرجع السابق.

(٢٠٨) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢٠٩) تفسير القرطبي (١/ ١٥٤).

قال ابن عباس (ت:٦٨هـ) **– رضي الله عنه–:**

«نزلت بمكة بعد ﴿ الْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر]»[٢١٠]، يا أَيُّهَا «ونزلت بعدها ﴿ تَبَّتْ يَدَا ﴾ [المسد:١]»[٢١١].

وقال ابن كثير – رحمه الله –:

قيل إنّها أوّل سورةٍ نزلت، والصّحيح أنّه نزل قبلها ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾[العلق:١] وسورة المدّثّر ثمّ الفاتحة[٢١٢].

وقيل: نزل قبلها أيضًا ﴿ن وَالْقَلَمِ ﴾[القلم:١]، وسورة المزّمّل، وقال بعضهم: هي أوّل سورةٍ نزلت كاملةً أي: غير منجّمةٍ، بخلاف سورة القلم، وقد حقّق بعض العلماء أنّها نزلت عند فرض الصّلاة فقرأ المسلمون بها في الصّلاة عند فرضها، وقد عدّت في روايةٍ عن جابر بن زيدٍ السّورة الخامسة في ترتيب نزول السّور[٢١٣].

ويتأكد مما سلف نزولها بمكة جملة واحدة غير منجمة، وأنها نزلت في جملة أوائل ما نزل من القرآن بعد المدثر وهو اختيار الحبر ابن عباس رضي الله عنه:

ومما نُظم وقيل في ذلك[٢١٤]:

قول جعيجع:

نظمت ترتيب تنزيل القرآن كما عند الحبنكة الميداني قد سُطرا

اقرأ بنون ولا تزمل الدّثرا والحمد لله تبَّ الشرك وانكدرا (٢١٥)

فهو يرتب نزول سور القرآن كما رتبها الميداني، فبدأ بـ(اقرأ، ثم نون والقلم، ثم المزمل، ثم المدثر، ثم الحمد وهي الفاتحة، ثم تبت يدا)، وهذا ما عليه الأكثرون.

ثالثًا: ظروف نزولها:

«في بداية نزول الوحي حيث لم يكن النبي ﷺ قد تلقَّى كثيرًا من القرآن جاءه جبريل عليه السلام بفاتحة الكتاب، في جوٍ بدأ فيه المشركون يتوجسون خيفة من هذا الجديد الذي لم يألفوه، جاءه بالسورة الكريمة لتكون النبراس الأوفى والمنهج الأكمل رغم إيجازها وقصرها، حيث طالت كافة مجالات القرآن العظيم، واشتملت على شتى مقاصده، فتناولت أصول الدين وفروعه، ولزوم الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته، وبشرت بالتوحيد الذي لا يكون إلا بإفراده جل شأنه بالعبادة من دعاء واستعانة وتوكل، والتوجه إليه جلَّ وعلا بطلب الهداية إلى الدين القويم، وانتهاج المنهج الكريم الذي سار عليه ركب النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إضافة إلى لزوم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره والاعتقاد باليوم الآخر، وقد أنارت السورة الكريمة سبيل النجاة بالتضرع إليه سبحانه بالتثبيت على الإيمان ونهج صراط الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين،

---

(٢١٠) جمال القراء للسخاوي (١/١١).

(٢١١) القول الوجيز للمخللاتي (١٦١).

(٢١٢) التفسير (١٤/١٧٦).

(٢١٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (١/١٣٥-١٣٦).

(٢١٤) ينظر: منظومة نظم الدرر في ترتيب نزول السور، ليزيد عبد الرحمن جعيجع، موقع الألوكة، وهي منظومة طويلة بيَّن فيها ترتيب سور القرآن.

٢١٥) يعني بذل: ترتيب عبد الرحمن حبنكة الميداني لنزول سور القرآن وهو ترتيب قوي، بلغنا أن الأزهر أقره و أعتمده.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وبذلك احتوت قصص الأمم السابقة، وتضمنت الأخبار اللاحقة؛ فنوهت بمدارج السعداء، وحذرت من مدارك الأشقياء، وحصرت مصدر التعبد والتشريع في رب السماوات والأرض وحده سبحانه، فكانت إيذانًا من الله تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام بإقامة منهج التوحيد حياة وسلوكًا ودعوة»(٢١٦).

رابعًا: سبب نزولها:

لا شك أنَّ معرفة أسباب النزول مما يعين على فهم مراد الله من الآية أو السورة، وبعض السور أو الآيات لا يمكن التوصل لحقيقة معناها وما سيقت من أجله إلا بعد معرفة سبب نزولها والواقعة التي سيقت وأنزلت من أجلها أو بسببها، وكذلك فإن معرفة سبب النزول مما يعين على معرفة وفهم وبيان حكم التشريع الإلهي أيضًا.

وليس كل آية أو سورة في كتاب الله لها سبب نزول، بل إن منها ما يكون له سبب، ومنها ما يكون ليس له سبب؛ لأن نزول القرآن إما ابتدائي ليس له سبب، وإما سببيّ.

وغالب سور القرآن وعمومها ابتدائي ليس له سبب معروف ومذكور، فمنها ما ينزل هداية ابتداءً دون سبب؛ لأنه كتاب هداية للبشرية جمعاء، ومنها ما ينزل للتشريع وبيان الأحكام أو للاعتبار والاتعاظ ككثير من القصص، أو لبيان الناسخ والمنسوخ، أو لذكر الوعد والوعيد، أو قد يرد السؤال فتنزل الآيات بالجواب الشافي الكافي، أو لحادثة قد تقع فتحتاج إلى تفصيل وبيان وإيضاح، أوقد يقع فعل يحتاج إلى بيان معرفة حكمه الشرعي.

وسورة الفاتحة لم يقف الباحث على سبب نزول لها، إلا ما أورده بعض أئمة التفسير بسند منقطع فـ«من طريق أبي ميسرة (أحد كبار التابعين) أن: رسول الله كان إذا برز سمع مناديًا ينادي: يا محمد، فإذا سمع الصوت انطلق هاربًا فقال له: ورقة بن نوفل إذا سمعت النداء فاثبت حتى تسمع ما يقول لك، فلما برز سمع النداء فقال: «لبيك، قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»، ثم قل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ حتى فرغ من فاتحة الكتاب.

قلت: وهو مرسل ورجاله ثقات؛ فإن ثبت حُمِل على أن ذلك كان بعد قصة غار حراء، ولعله كان بعد فترة الوحي والعلم عند الله تعالى»(٢١٧) (٢١٨).

ولم يقف الباحث على سبب صحيح ثابت يحسن الاستدلال به في سبب نزول السورة الكريمة.

وقد يقف الباحث على الحكمة من عدم وجود سبب لنزول سورة من السور، وقد لا يقف.

ومنها سورة الفاتحة، فلم يقف الباحث خلال بحثه القاصر على الحكمة من عدم وجود سبب ظاهر لنزولها.(٢١٩)

ولعل في هذا كفاية والحمد لله رب العالمين.

المطلب الخامس: بيان بعض ما ورد في فضائلها وخصائصها.

---

(٢١٦) هدايات سورة الفاتحة- د. أحمد ولد محمد ذو النورين -مجلة البيان- (٢٠١٠/٩/١٢م)، بتصرفٍ يسيرٍ جدًّا.

(٢١٧) العجاب في بيان الأسباب للحافظ ابن حجر (٢٢٣/١). والحديث مرسل ورجاله ثقات. العجاب في بيان الأسباب- المؤلف :أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق :عبد الحكيم محمد الأنيس-الناشر: دار ابن الجوزي-عدد الأجزاء:٢.

(٢١٨) وينظر أيضًا: الكشف والبيان للثعلبي، أسباب النزول للواحدي (١٧).

(٢١٩) يُنظر: عرفة بن طنطاوي، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة "تحليلية موضوعية"، رسالة دكتوراه، المؤلف/ عرفة بن طنطاوي، وهي أطروحة علمية نال بها الباحث درجة "الدكتوراه" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات. الناشر: دار المأثور، المدينة النبوية، تاريخ النشر: ١٤٤١هـ، عدد الصفحات: ٥٥٠صفحة، عدد المجلدات:١.

لقد صنف أئمة الإسلام في فضائل القرآن مؤلفات ومصنفات كُثُر، وكان السبق في التصنيف في هذا الميدان للإمام أبي عبيد القاسم بن سلاَّم الهروي(ت: ٢٢٤هـ) -رحمه الله-، حيث صنف كتابًا أسماه: (فضائل القرآن ومعالمه وآدابه)، وجُلّ المصنفاتِ في هذا الباب من بعده تستقي من معين كتابه وتنهل من بحر علمه الزاخر، فهو بمثابة الكتاب الأم في بابه، ولقد اعتنى فيه مصنفه برواية الأحاديث والآثار بسنده،ولكن الكتاب جمع الصحيح وغير الصحيح، ولأهمية الكتاب من الناحية العلمية والتصنيف فقد لاقى قبولًا واسعًا فمؤلفه إمام وعلم من أعلام الأمة، وكذلك لقي الكتاب العناية بالتحقيق والتدقيق من بعض الباحثين المعاصرين(٢٢٠).

وممن صنف في هذا الباب أيضًا محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي الأندلسي رحمه الله (ت:٦١٩هـ)، فقد صنف كتابه (لمحات الأنوار ونفحات الأزهار وري الظمآن لمعرفة ما ورد من الآثار في ثواب قارئ القرآن)، ومصنفه هذا من أفضل وأنفع وأجمع ما صنف في بابه، ولقد اعتنى به مصنفه فجمعه من سبعين كتابًا كما بين ذلك في مقدمته، ولمكانة الكتاب وأهميته فقد لاقى عناية من بعض الباحثين فقام بتحقيقه(٢٢١).

وهذا الباب لاقى عناية فائقة فكتب فيه الأولون والآخرون مصنفات عدة، منها ما هو محفوظ ومنها ما هو مفقود، ومما حفظ فيما كُتِبَ في ذلك ما كتبه ابن أبي شيبة صاحب المصنف، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن كثير، وأبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي المقرئ، والإمام الآجري صاحب كتاب الشريعة، وابن الضريس، والنووي، ومن المتأخرين خلق كثير منهم محمد بن رزق بن طرهوني، كذلك الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومما حُفِظَ أيضًا ويُفاد منه في هذا الباب الموسوعات الحاسوبية (الإلكترونية) كموسوعة علوم القرآن، فقد حوت قرابة ثمان وعشرين مصنفًا من مصنفات أمهات كتب علوم القرآن.

ولفاتحة الكتاب المكانة العظمى فيما كُتب وصنف في هذا الباب، فقد اعتنى الأئمة ببيان فضائل السورة الكريمة وذكر ما ورد فيها من أحاديث وآثار، ومن البديهي أن يرد فيها ما هو صحيح ثابت وما هو دون ذلك كما مرَّ معنا ذكر ذلك آنفًا، فكان من الباحث الاكتفاء بذكر ما ثبت وصح من الأحاديث والآثار الثابتة والواردة في فضل سورة الفاتحة، وهي كثيرة مما يدل على عظيم قدر السورة وجليل شأنها وعلو منزلتها، ونسوق بعض ما ورد وثبت في فضلها وخصائصها على النحو التالي:

---

(٢٢٠) كتحقيق مروان العطية وزملائه ونشرته دار ابن كثير بدمشق، وتحقيق أحمد بن عبدالواحد الخياطي في رسالته للماجستير ونشرته وزارة الأوقاف المغربية في جزأين. وهذا الكتاب لا يستغنى عنه بغيره لإمامة مؤلفه.

(٢٢١) حققه الدكتور رفعت فوزي عبدالمطلب بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ونشرته دار البشائر الإسلامية في ثلاثة مجلدات.

شبكة الألوكة www.alukah.net

أولًا: الفاتحة هي أعظم سور القرآن.

لا شك أن القرآن كله هو كلام الله سبحانه وتعالى، والله تعالى له الحكمة البالغة في اصطفاء وتفضيل بعض آياته وسوره على بعض لما حوته من الفضائل والحكم، وسورة الفاتحة حازت السبق الأكبر في هذا التفضيل بين سور القرآن حتى أضحت أعظم سورة في كتاب الله.

فقد ثبت عند البخاري وغيره من حديث أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ:﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]؟»، ثُمَّ قَالَ لِي: «لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ لأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ؟ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ»(٢٢٢).

«فهذا الحديث نص في أن الفاتحة هي السبع المثاني والقرآن العظيم، وهي المقصودة في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)﴾ [الحجر](٢٢٣).

ثانيًا: الفاتحة أفضل القرآن.

لما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ في مسيرٍ، فنزل، فمشى رجلٌ من أصحابه إلى جانبه، فالتفت إليه، فقال: «ألا أخبرك بأفضلِ القرآنِ؟» قال: فتلا عليه الحمد لله رب العالمين»(٢٢٤).\

ثالثًا: الفاتحة لها خصائص ليست لغيرها.

ومما يجلي ويوضح ما خُصت به الفاتحةُ وفُضِلَت به على سور القرآن الكريم ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلا أُعْطِيتَهُ»(٢٢٥).

ومن هذا الحديث يتجلى ويتضح عظم شأنها.

ومن عظم شأنها أنها:

١- يُفتح لنزولها بابٌ من السماء لم يُفتح من قبل.

٢- وينزل ملكٌ خصيصًا ولأول مرة ليبشر النبيَ ﷺ بها، وما أعظمها من بشارة «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا»، حتى يبشر بها أمته.

٣- فَضَّلَ اللهُ بها نبيهَ محمدًا ﷺ دون سائر المرسلين، وإنما أمته تابعة له، «لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ».

---

(٢٢٢) أخرجه البخاري (٤٤٧٤).

(٢٢٣) مدراج السالكين (١/٥٢).

(٢٢٤) أخرجه ابن حبان (٧٧٤)، والضياء المقدسي في المختارة (١٧١٨)، والحاكم (٢٠٦٣) وصححه، والنسائي في الكبرى (٧٩٥٧)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الموارد (١٤٣١).

(٢٢٥) أخرجه مسلم (٨٠٦).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٤- كما فُتِحَ الحديثُ عنها بالبشرى خُتِمَ كذلك بالبشرى بقوله: «لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إلا أُعْطِيتَهُ».

وقد اختلف العلماء في معنى قوله: «إلا أُعْطِيتَهُ» . فحمله بعضهم على أن المراد ما ورد فيها من الدعاء، وحمله آخرون على الثواب، ولا يمنع من اجتماع الفضلين جميعًا.

قال السندي في حاشيته على سنن النسائي: «أي: مما فيه من الدعاء إلا أعطيته، أي: أعطيت مقتضاه». اهـ.

وقال المُلَّا علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:

«أي: أعطيت ما اشتملت عليه تلك الجملة من المسألة كقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وكقوله: ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ [البقرة:٢٨٥] - ونظائر ذلك، وفي غير المسألة فيما هو حمد وثناء أعطيت ثوابه». اهـ.

وقال ابن عَلَّان الصديقيّ الأشعريّ المكيّ[٢٢٦] في كتابه دليل الفالحين شرح رياض الصالحين:

«والمراد ثوابه الأعظم من ثواب نظيره في غير هذين، أو المراد بالحرف معناه اللغوي وهو الطرف، وكنَّى به كل جملة مستقلة بنفسها: أي: أعطيت ما تضمنته إن كانت دعائية -ك ﴿ اهْدِنَا ﴾- و ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾-الآيتين، وثوابهما إن لم يتضمن ذلك كالمشتملة على الثناء والتمجيد»[٢٢٧]. اهـ.

وقول مُلَّا علي القاري رحمه الله هو أجمع الأقوال، وقريب منه قول ابن عَلَّان، ومما يُرجح ذلك الحديث القدسي المشهور: «قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» وختم الحديث بقوله: «قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[٢٢٨].

والسورة «جمعت بين التوسل إلى الله تعالى بالحمد والثناء على الله تعالى وتمجيده، والتوسل إليه بعبوديته وتوحيده، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين، فالداعي به حقيق بالإجابة»[٢٢٩].

رابعًا: ومن دلالات هذا الحديث على خصائص فاتحة الكتاب.

أن الصلاة لا تصح بدونها، لقول أبي هريرة رضي الله عنه في صدر الحديث: مَنْ صَلَّى صَلاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ ثَلاثًا غَيْرُ تَمَامٍ[٢٣٠]، فَقِيلَ لأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ، فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، ثم ذكر الحديث بتمامه.

---

(٢٢٦) ابن عَلَّان (٩٩٦ -١٠٥٧ هـ) هو محمد علي بن محمد عَلَّان بن إبراهيم البكريّ الصديقيّ الشافعيّ، من أهل مكة، وهو مُفسِّر ومحدِّث، وله مصنفات ورسائل كثيرة، ولعل أشهر آثاره: ضياء السبيل في التفسير، و دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين في الحديث، وقد شرح فيه كتاب رياض الصالحين، وينظر: الأعلام للزركلي خير الدين.

وهو أشعري جلد، وهناك دراسة تحت مسمى «المسائل العقدية في كتاب دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لمؤلفه ابن عَلَّان الصديقيّ (ت١٠٥٧هـ) -عرض ونقد- سامي عوض الذيابي-رسالة ماجستير- جامعة الملك سعود-(١٤٣٨هـ).

(٢٢٧) ينظر: موقع إسلام ويب، بتاريخ: (١٩ ذو الحجة ١٤٣١هـ).

(٢٢٨) أخرجه مسلم (٣٩٥).

(٢٢٩) مدارج السالكين (١/٢٤).

(٢٣٠) أخرجه مسلم (٣٩٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

إذ من المعلوم أن قراءة الفاتحة ركن من الصلاة، لا تصح بدونها، لما ثبت أيضًا في الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»(٢٣١).

ومن خصائصها كذلك أنها: «قد تضمنت جميع معاني الكتب المنزلة»(٢٣٢).

ومن خصائصها كذلك أنها: متضمنة لأنفع الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«تأملت أنفع الدعاء، فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في:

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾»(٢٣٣) انتهى.

«ومَن ساعده التوفيق وأُعِينَ بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقدر والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى مَن له الأمر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، والافتقار إليه في طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعلم ارتباط معانيها بجلب مصالحهما ودفع مفاسدهما، وأن العاقبة المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها موقوفة على التحقق بها؛ أغنته عن كثير من الأدوية والرقى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفع بها من الشر أسبابه»(٢٣٤) انتهى.

وفضائل وخصائص السورة الكريمة أكثر من أن تُحصى، وما ذُكِر غيضٌ من فيضٍ، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

وما ثبت من فضائل عظيمة وخصائص جليلة لفاتحة الكتاب مما يدفع المؤمن ويرغبه ويحثه على العناية بالقرآن الكريم وتدبره ومدارسته عمومًا، وبسورة الفاتحة خصوصًا.

ولعل في هذا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

---

(٢٣١) أخرجه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

(٢٣٢)مدارج السالكين (١/٧٤).

(٢٣٣)مدارج السالكين (١/٧٨).

(٢٣٤) زاد المعاد (٤/٣١٨). زاد المعاد في هدي خير العباد-المؤلف :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة :السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م-عدد الأجزاء :٥.

شبكة الألوكة www.alukah.net

الفصل الثاني

المناسبات في السورة الكريمة

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسور الفاتحة.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: علاقة إعجاز القرآن وبلاغته بعلم المناسبات

القرآن الكريم: «هو كلام الله تعالى المنزل على نبينا محمد ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلًا متواترًا المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه»(٢٣٥).

والقرآن: «كلام الله منه بدا، بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدَّقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله -تعالى- بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر»(٢٣٦).

وهو: المعجز بلفظه، فآياته فاقت الغاية دقة وإحكامًا، وتجلت عيانًا وضوحًا وبيانًا، قال سبحانه: ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ (١) ﴾[هود]، فهي: «محكمة في لفظها، مفصلة في معناها، فهو كامل صورة ومعنى»(٢٣٧).

فآياته كلها محكمة في سردها، دقيقة في سبكها، متينة في أسلوبها، مترابطة في ارتباط واتصال معانيها، فهي ككلمة واحدة متسعة في معانيها، منتظمة في مبانيها، وهي متماسكة مترابطة آخذ بعضها برقاب بعض، كأنها سبيكة واحدة، وعقد فريد متماسك متناظم على أكمل وأتم الوجوه، يسير إعجازها سريان الماء المتدفق في نهر جار.

وهي مع ذلك كله: فهي «محكمة متقنة لا نقص فيها ولا نقض لها كالبناء المحكم»(٢٣٨).

والقرآن قد «جعلت آياته محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًّا ولا تأويلًا، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا»(٢٣٩).

أحكمت آياته: فـ«نظمت نظمًا رصينًا محكمًا، لا يقع في نقض ولا خلل، كالبناء المحكم المرصف»(٢٤٠)، كما ربنا تبارك وتعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الزمر:٢٨].

---

(٢٣٥) تاريخ القرآن الكريم-رابطة العالم الإسلامي-سلسلة دعوة الحق-السنة الثانية-(١٤٠٢هـ).

(٢٣٦) الطحاوية (١/١٧٢). الطحاوية-شرح العقيدة الطحاوية المؤلف :صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق :جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين) الطبعة :الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م-عدد الأجزاء: ١. وهو مذيل بحواشي وتعليقات الشيخ الألباني- رحمه الله-.

(٢٣٧) ابن كثير (٤/٣٠٣).

(٢٣٨) فتح القدير (١/٦٤٧).

(٢٣٩) تفسير المنار لرشيد رضا (١٢/٤).

(٢٤٠) الكشاف للزمخشري (٣/١٨١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

فـ«لا اختلال فيه بوجه من الوجوه»[٢٤١].

فقد أحكمها أحكم الحاكمين، وفصَّلها العليم الخبير.

ولما نزل القرآنُ أعجزَ أربابَ الفصاحةِ وملوكَ البلاغة والبيان من صناديد قريش، فأذعنوا لسلطانه وأبهرهم بيانه، وشهدوا لإعجازه وفصاحته وبلاغته، والحق ما شهدت به الأعداء، ومن عاند منهم وجحد لم يستطع أن يطعن فيه ولو بكلمة واحدة، ولكن رموا مَن بلَّغه عن الملك الوهاب ﷺ بالبهتان والسباب وقالوا: ﴿هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤)﴾ [ص].

بل تخطى حاجز الإقرار بالإعجاز وحسن البيان من الإنس إلى الجان، فلما سمعوه قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا (١) ﴾ [الجن].

وكان هذا المبحث كتوطئة ومقدمة لبيان وتأكيد أن عظمة القرآن مما يندرج تحت إعجازه وبلاغته، وعلم المناسبات لا شك مما يدل على إعجاز القرآن الكريم من كل الوجوه.

و«علم المناسبات علم عظيم أُودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه، وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول.

وهو: علم شريف تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول»[٢٤٢].

«ومَن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته»[٢٤٣].

ومما سبق إيضاحه وبيانه يتبين أن نظم آيات القرآن يعجز الخلق أجمعين عن الإتيان بمثله، فدل ذلك على أن ترتيب آيات القرآن أمر توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه.

---

(٢٤١) تفسير الألوسي (٢٦٢/٢٣).

(٢٤٢) البرهان (ص: ٣٥).

(٢٤٣) والكلام للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي في حديثه عن سورة البقرة: وينظر: (نظم الدرر: ٩/١، والإتقان (١٣٨/٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثاني: مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح

ومن الأهمية بمكان بيان مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح.

أولًا: المناسبة في اللغة: المقاربة والمشاكلة[٢٤٤].

واصطلاحًا: هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن[٢٤٥].

وبمعرفة علم المناسبات يتضح ويتبين إعجاز القرآن واتساق آياته وتناسقها على وجه من الكمال والجمال والجلال، وهذا مما يظهر إعجازه وبلاغته على صفة تشهد أنه كلام الله المعجز بلفظه المتحدى به، فلو كان كلام بشر لاختلت معانيه ولاضطربت مبانيه، ولوجدوا فيه من الاختلاف ما يمكنهم معه من الطعن فيه.

وفي نحو ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء].

المطلب الثالث: فوائد وثمار معرفة علم المناسبات

ومن فوائد وثمار معرفة علم المناسبات أنه:

١- يعين على إبراز أوجه الصلة والتناسب بين السور والآيات ومعرفة علاقة الآية أو السورة بسابقتها ولاحقتها، وهذا مما يقرب فهم معاني القرآن وبيان مقاصده ووضوح مراميه، لمفسره أولًا، ومِن ثَمَّ لقارئه ومتدبره وتاليه.

٢-ويعين أيضًا على إدراك الحكمة من التشريع والترابط بين أحكام الشريعة في الأمر والنهى والتحليل والتحريم والثواب والعقاب وغير ذلك من الأحكام.

٣-ومن فوائده: أنه لما كان ترتيب بلاغة القرآن وحسن نظم أسلوبه وروعة خطابه وحسن نظامه ما أعجز الإنس والجان أن يأتوا بمثله، والعرب مهما أوتوا من بلاغة وروعة بيان وإحكام في فصاحة ومهما أوتوا من ذكاء وفطنة، فإن إعجاز بيان القرآن فوق ما حباهم الله من الفصاحة والبيان، فدل ذلك على أن هذا ليس بكلام البشر، ودل على إثبات نبوة ورسالة من بلغه للبشر عن رب البشر ﷺ، قال تعالى:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ [النساء].

وفي نحو ما سبق يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ مَا قَبْلَ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا وَعَرَفَ مَقْصُودَ الْقُرْآنِ تَبَيَّنَ لَهُ الْمُرَادُ وَعَرَفَ الْهُدَى وَالرِّسَالَةَ وَعَرَفَ السَّدَادَ مِنْ الِانْحِرَافِ وَالِاعْوِجَاجِ»[٢٤٦].

---

(٢٤٤) الإتقان للسيوطي (١٣٩/٢).

(٢٤٥) نظم الدرر للبقاعي (٦/١).

(٢٤٦) مجموع الفتاوى (١٥/٩٤)

شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن المناسبة بمكان ذكر بيان موجز لأهم المصنفات في علم المناسبات:

فمن أبرزها وأشهرها ما يلي:

١-«البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن» لأبي جعفر بن الزبير الأندلسي (ت ٨٠٧ هـ).

٢-«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» لبرهان الدين البقاعي وهو أوسع كتاب في بابه وبلغ كتابه اثنين وعشرين مجلدًا.

٣- «تناسق الدرر في تناسب السور» لجلال الدين السيوطي (ت:٩١١هـ)، وله أيضًا: «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع».

٤- «جواهر البيان في تناسب سور القرآن» لعبد الله الغُمَاري وهناك مؤلفات كُثُر ضمن مصنفوها علمَ المناسبات كتبَهم دون أن يفردوها بتصنيف مستقل، وهناك أيضًا كتابات لبعض المتأخرين لكنهم عيال على المتقدمين فيما كتبوا.

وعلم المناسبات منهم مَن مدحه مدحًا مطلقًا، ومنهم مَن ذمَّ وعاب من دخل فيه متكلفًا.

المطلب الرابع: موقف العلماء من علم المناسبات

انقسم العلماء إزاء علم المناسبات إلى قسمين: قسم مادح ومؤيد، وقسم معارض.

ويتناول الباحث هنا موقف الفريقين ثم يبين القول العدل منهما.

القسم الأول: ذكر العلماء المادحين المؤيدين لعلم المناسبات:

ويأتي في طليعتهم: أبو بكر النيسابوري رحمه الله، وهو من أبرز من اعتنى بعلم المناسبات، وبرهان الدين البقاعي، والفخر الرازي، والزركشي صاحب البرهان، والسيوطي صاحب الإتقان،

وفي صدد ذلك يقول الفخر الرازي:

«أكثر لطائف القرآن مودعه في الترتيبات، والروابط»[٢٤٧]، ويقول أيضًا: «علم المناسبات علم عظيم أُودِعَت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه» [٢٤٨]:

ويقول بدر الدين الزركشي(ت:٧٩٤هـ):

«من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، لئلا يكون منقطعًا، وهو مبني على أن ترتيب السور توفيقي، وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة؛ لما خُتمت به السورُ قبلها، ثم هو قد يخفى تارة، ويظهر أخرى»[٢٤٩].

وفي صدد ذلك يقول الغُماري الحسني(ت: ١٤١٣هـ):

علمُ التناسب للسور علمٌ جليلٌ ذو خطر..... قد قل فيه الكاتبون كما قدْ عزَّ المستطر[٢٥٠]

---

(٢٤٧) السيوطي: الإتقان (١٠٨/٢)، الزركشي: البرهان(٣٦/١، ٥٢٣/٢).

(٢٤٨) الزركشي: البرهان (٣٥/١).

(٢٤٩) نفس المرجع السابق (٣٥/١) وبعدها.

(٢٥٠) الغماري: جواهر البيان (٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

القسم الثاني: العلماء المعارضين لعلم المناسبات:

ونتعرض هنا لبيان آراء العلماء المعارضين لعلم المناسبات ومناقشتها:

والمعارضون لعلم المناسبات وإن كانوا قلة إلا أن رأيهم محل أخذ ورد ونظر لمن أعمل فكره واعتبر وادَّكر.

فقد ذكر الزركشي رحمه الله في: (البرهان) تحفُّظ عز الدين عبد السلام على القول بالمناسبات في القرآن فقال:

«وقال عز الدين بن عبد السلام رحمه الله: المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلًا عن أحسنه؛ فإن القرآن نزل في نَيِّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك لا يأتي ربط بعضه ببعض»[٢٥١].

ويلاحظ هنا أن العز بن عبد السلام إنما أنكر التزام ذلك في كل موضع.

كما نُقل عن أبي حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط كلامٌ شبيه بكلام عز الدين عبد السلام»[٢٥٢].

ومنهم أيضًا أبو الحسن الحرالي المغربي (٦٣٧هـ)، والغزنوي، والشوكاني وهو أكثرهم رفضًا ومنعًا للتكلف والتزام المناسبة في كل موضع؛ فعند تفسيره لقوله -تعالى-: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) ﴾[البقرة].

قال: «اعلم أن كثيرًا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف جاؤوا بتكليفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف، ويتنزه عنها كلام البلغاء فضلًا عن كلام الرب سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره»[٢٥٣].

والشوكاني نفسه قد ترجم للبقاعي في كتابه (البدر الطالع).

فقال عنه:

«إنه من الأئمة المتقنين المتبحرين في جميع المعارف»، ومدحه ووصفه بأنه «من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول.

ومدح مُؤلفه الموسوم بـ (نظم الدرر) بقوله: «ومن أمعن النظر في كتاب له في التفسير الذي جعله في المناسبة بين الآية والسور علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء الجامعين بين علميّ المعقول والمنقول، وكثيرًا ما يشكل عليّ شيء في

---

(٢٥١) الزركشي: البرهان ٣٧/١، السيوطي: الإتقان (١٠٨/٢و١٣٨)، السيوطي: أسرار ترتيب القرآن ٣٠.

(٢٥٢) الدكتور مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي (٦٢). مباحث في التفسير الموضوعي-المؤلف :مصطفى مسلم-الناشر :دار القلم-الطبعة: الرابعة ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م عدد الأجزاء :١.

(٢٥٣) فتح القدير (١ / ٧٢ -٧٣).

شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتاب العزيز وأرجع إلى مطولات التفسير ومختصراتها فلا أجد ما يشفي غليلي، وأرجع إلى هذا الكتاب فأجد ما يفيد»[٢٥٤].

«ولما كان هذا العلم دقيق المسالك خفي المدارك احتاج الباحث فيه إلى استفراغ الجهد بغية الاستقصاء اللغوي لدلالات الكلمات القرآنية، والإحاطة بأسباب النزول والقراءات، والتوسع في أفانين علوم النحو والمعاني والبيان والبديع مع حسٍّ مرهف، ونفس شفافة، والتقاط سريع، وألمعية وافرة، ولَمَّاحية عالية وسلامة في القصد؛ ليدرك سر اللُّحمة بين لطائف الآيات القرآنية ومراد الله –تعالى– من ترتيب كلامه على هذه الصفة، فتبدو له أوجه المناسبات في النَّظْم الحكيم»[٢٥٥].

«وهكذا تتجلى أهمية المناسبات القرآنية في أنه علم مُعِين على جعل أجزاء الكلام وقد أخذ بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط بينها، ويصير تآلفها كحال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء»[٢٥٦].

القول الراجح في المسألة:

ومن الإنصاف الأخذ برأي أهل الإنصاف، فرأيهم فيه التوسط وعدم الإجحاف والانجراف والانعطاف، وهم الأكثرون، وكثير من القائلين بالمنع إنما منعوا التعسف والتكلف في كل موضوع، والقائلون بالمنع مطلقًا قلّة قليلة جدًّا، ولله الحمد.

والأخذ بعلم المناسبة كلما ظهرت أماراتها لمن كان أهلًا لذلك وتوافرت فيه شروط الأهلية هو القول الوسط العدل، ذلك أن علم المناسبات علم له ضوابطه وأصوله وقواعده، فليس لكل أحد أن يخوض فيه بغير علم ولا ضوابط فلابد أن يكون عالمًا بالتفسير وعلومه، مُطلعًا على علم أسباب النزول، وملمًا بأقوال أهل التأويل، عالمًا بالقراءة المتواترة وتوجيهها، وعالمًا كذلك بعلوم لغة التنزيل نحوها وتصريف أفعالها، عالمًا ببلاغتها –بيانًا وبديعًا ومعانيَ–، ولديه دراية بدلالة الألفاظ اللغوية والبيانية، ولديه عناية ودراية بعلوم الآلة كلها، وأن يكون معتدلًا في الفهم والإدراك لئلا يتعسف ويتكلف في إيجاد المناسبات بلا مناسبات، وذلك ليكون أهلًا للنظر في كلام رب البشر.

ولعل في هذا الإيجاز المختصر ما يغني بالإشارة عن العبارة لأهل البحث والنظر.

المطلب الخامس: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة.

لفاتحة الكتاب مكانتها المميزة في القرآن الكريم، فلذا افتتح الله بها كتابه، فهي (أمّ القرآن) وهي (أمّ الكتاب) وهي (السبع المثاني)، ولها غير ذلك من الأسماء التي سُمِّيت بها، التي تدلل على بيان قدرها ومكانتها بين سور القرآن الكريم، ولقد حوت آياتها السبع مقاصد القرآن الكريم وكلياته، فلمكانتها وقدرها وما اشتملت عليه ناسب افتتاح القرآن الكريم بها.

«وافتتح الله سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنَّها جمَعتْ مقاصد القرآن، ولأنَّ فيها إجمالَ ما يحويه القرآن مفصلًا؛ فجميع القرآن تفصيل لِمَا أجملتْه، وفي ذلك براعة استهلال؛ لأنَّها تنزل من سور القرآن منزلَ دِيباجة الخطبة أو الكتاب»[٢٥٧].

---

(٢٥٤) الشوكاني: البدر الطالع (١/ ٢٠ -2.22).

(٢٥٥) د. مصطفى مسلم: مباحث في تفسير الموضوعي، (٦٥ . ٦٦) بتصرف.

(٢٥٦) الزركشي: البرهان، (١/ ٣٦)، السيوطي: الإتقان (٢/ ١٠٨).

لذا فهي كالمقدمة بين يدي سور القرآن الكريم لاشتمالها على جميع مقاصده وأغراضه ومواضيعه، فهي أجملت ما فُصِّلَ فيه، فناسب أن تتقدم سورَةَ جميعًا، وناسب أن يأتي بعدها سور القرآن متتابعة لتفصل ما أُجمِلَ في فاتحته.

«قال العلماء: إنما افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن فناسب الافتتاح بها، لأنها تصير كبراعة الاستهلال وهي الإتيان أول الكلام بما يدل على المقصود على وجه الإجمال. وكالعنوان، والمراد بالعنوان نوع من أنواع البديع يسمى بذلك.

قال ابن أبي الأصبع(ت: ٦٥٤هـ) **في بدائع القرآن:**

«العنوان أن يأخذ المتكلم في غرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنوانًا لأخبار متقدمة وقصص سالفة، ومنه نوع عظيم جدًّا وهو عنوان العلوم بأن يذكر في الكلام ألفاظ تكون مفاتيح العلوم ومداخل لها.

والفاتحة لكونها جامعة لجميع مقاصد القرآن، وفيها الإشارة إلى جميع الأخبار المتقدمة من بدء الخلق والأمم السالفة من اليهود والنصارى وغيرهم، وفيها الإشارة إلى مفاتيح العلوم ومداخلها.

فلما جمعت الفاتحة هذه كانت جديرة بأن تكون عنوان القرآن بالتقرير الذي ذكره ابن أبي الأصبع»[٢٥٨].

ولعل في ذلك كفاية، والحمد لله رب العالمين.

---

(٢٥٧) وينظر: تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص: ٤٩:٥١)، تناسق الدرر في تناسب السور الحافظ جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي، المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة ٨٤٩ هـ/١٤٤٥ م-القاهرة ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) - مخطوط-المكتبة الأزهرية، البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي (ص: ١٨٧) تفسير ابن عاشور (ص: ١/١٣٥).

(٢٥٨) الحاوي للفتاوي للسيوطي (ص:٣٥١-٣٥٢). الحاوي للفتاوي: جلال الدين السيوطي: واسمه عبد الرحمن بن الكمال بن محمد الخضيري السيوطي دار الفكر للطباعة والنشر، سنة النشر: (١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م) -عدد الأجزاء: جزءان. بتصرف غير يسير من الباحث.

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الثاني:

مناسبة سورة الفاتحة مع تاليتها وبيان أوجه المناسبة بين السورتين.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المناسبة بينهما في مطلع السورتين.

١- لما قال سبحانه في مطلع سورة الفاتحة: ﴿ ومَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ هو وصفٌ لله تعالى بأنه مالك ليوم الجزاء، وهو الذي يملك الحكم والفصل والقضاء بين عباده في هذا اليوم، لا ينازعه فيه أحد من خلقه لأن مُلكَ ملوكِ الدنيا وأملاكهم كله قد زال ولم يبق إلا مُلك ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وفي هذا تقرير للميعاد والجزاء والحساب.

فناسب أن يقول في مطلع سورة البقرة: ﴿ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) ﴾، وكأنه وصفٌ لاستجابتهم له سبحانه أنهم بالآخرة مؤمنون وموقنون ومصدقون، وفي هذا إقرار للميعاد والجزاء والحساب، فلما كان في الفاتحة تقرير، ناسب أن يكون في البقرة إقرار.

«وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، كما قال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ﴾ [النبأ]، وكما قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) ﴾[طه]، وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) ﴾[هود]»[(٢٥٩)].

وكلمة: ﴿ ملك ﴾فيها قراءتان متواترتان.

أما القراءة الأولى: ﴿ مَالِكِ ﴾ فقد «قُرئت: بإثبات الألف بعد الميم ﴿مَالِكِ ﴾، وهي قراءة عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر.

أما القراءة الثانية: ﴿ مَالِكِ ﴾ فقد-قُرئت: بحذف الألف ﴿ مَلِكِ ﴾، وهي قراءة الباقين من العشرة؛ وهم: أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة»[(٢٦٠)].

أما توجيه القراءة الأولى:

فكلمة: ﴿ مَالِكِ ﴾، بالألف اسم فاعل من ملك ملكًا بكسر الميم؛ أي: مالك مجيء يوم الدين، والمالك: هو المتصرف في الأعيان المملوكة كيف شاء، وقد أجمع القراء على إثبات الألف في قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وكلمة ﴿مَالِكِ﴾ فيها محذوفة الألف رسمًا كما في الفاتحة.

و﴿ مَالِكِ ﴾-بالألف- أمدح من ﴿ مَلِكِ ﴾ وأعم[(٢٦١)]؛ حيث تقول: هو مالك الجن والإنس والطير والدواب، ولا تضيف (مَلِكًا) إلى هذه الأصناف.

---

(٢٥٩) تفسير ابن كثير (١/١٣٤).

(٢٦٠) ينظر: النشر (١/ ٢٧١)، والإتحاف (١/ ٣٦٣).

(٢٦١) وأسماء الله وصفاته كلها حسنى وهي صفات كمال وجمال وجلال كلها، قال ربنا:

شبكة الألوكة www.alukah.net

كما أن زيادة المبنى –كما في ﴿ مَالِكِ ﴾بالألف– تدل على زيادة المعنى.

وأما توجيه القراءة الثانية:

فكلمة ﴿ مَالِكِ ﴾على وزن فَقِه صفة مشبهة؛ أي: قاضي يوم الدين(٢٦٢) والْمَلِكُ هو المتصرف بالأمر والنهي في المأمورين من الملك بضم الميم.

و ﴿ مَالِكِ ﴾ – بالألف– أبلغ من ﴿ مَالِكِ ﴾؛ لأن كلّ مَلِك مالك، وليس العكس، كما أن القراء أجمعوا على حذف الألف منه في مواضع، نحو: ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾ [الحشر:٢٣]، ﴿ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ [المؤمنون:١١٦]، ﴿ مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس]»(٢٦٣).

ويتبين ويتضح من قراءة ﴿ مَلِكِ ﴾ بالقصر: أن (ملك) لفظة مشتقة من الملك، والملك بمعنى أنه: ذو سلطان وذو قوة وذو حكم وغلبة وتدبير وقهر.

وأما قراءة: ﴿ مَلِكِ ﴾ بالمد، والتي هي مشتقة من الملك، تدل على: ملك الأعيان كلها كما تدل على القدرة في التصرف في تلك الأعيان.

ويتبين ويتضح من معنى القراءتين مجموعتين كما مرَّ معنا آنفًا، أن الله تعالى مالك لهذا اليوم ملكًا تامًّا له كمال ملكه، وله التصرف فيه، لا ينازعه في ذلك أحد من خلقه، وهو بمعنى إخلاص الملك له سبحانه وحده يوم الدين.

ومع أن الله تعالى لا يوجد من ينازعه ملكه يومئذ فضلًا عن أن يكون هناك مدعٍ لذلك، وذلك لأنه قد زال ملكُ كلِ ملكٍ في الدنيا، أما الملك في الدنيا، فقد كان يطلق على بعض البشر مجازًا، لأنه ملك محدود وموقوت وزائل لا محال، وإنما كان هذا الملك في الدنيا لبعض الخلق ابتلاء من الله تعالى لهم.

٢–ولما قال تعالى في الفاتحة: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ناسب في البقرة أن يأتي بأول الأوامر فيها فقال سبحانه: ﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة:٢١]، وهو تفصيل لما أُجمِلَ في الفاتحة وتأكيد له.

وقد وردت الأحكام التعبدية مفصلة في ثنايا سورة البقرة، فما أُجمِلَ في الفاتحة منها فُصِلَ في البقرة.

﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، و قال ربنا: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠].

(٢٦٢) هذا من باب الإخبار عن الله عزَّ وجل, وباب الإخبار عن الله تعالى أوسع من باب الأسماء.

وقد قال ابن القيم رحمه الله: الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أَطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسمَّ منها بأسماء الفاعل، كأراد وشاء وأحدث، ولم يُسمَّ بـ «المريد» و «الشائي» و «المحدث» كما لم يسمِّ نفسه بـ «الصانع» و«الفاعل» و«المتقن» وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ خطأً كبيرًا من اشتق له من كل فعل اسمًا وبلغ بأسمائه زيادة على الألف فسمَّاه «الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد» ونحو ذلك.

وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به فإنَّه يُخبر عنه بأنه «شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يسمَّى بذلك» انتهى من مدارج السالكين (٣ / ٤١٥).

(٢٦٣) ينظر: صفحات في علوم القراءات د. أبو طاهر عبد القيوم السندي. صفحات في علوم القراءات. المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي الناشر: المكتبة الأمدادية الطبعة: الأولى–١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١. (١/٣١١-٣١٤). بتصرف يسير جدًّا.

فالبقرة قد ورد فيها تفاصيل المسائل التشريعية من العبادات والمعاملات والحدود والآداب الاجتماعية وغيرها من أصول وضروب العبادات التفصيلية ودقائق المعاملات التأصيلية، فالفاتحة كالأصول والبقرة كتفريع الفروع على الأصول، فناسب أن تأتي الفروع موضحة ومفصلة ومبينة لما أُجمِل في الأصول.

٣-ولما أرشد الله تعالى عباده في سورة الفاتحة إلى أن يسألوه أعظم المطالب وأعز الرغائب ألا وهو مطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، بقوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[الفاتحة] استجاب لهم ربهم فقال في مطلع سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة]، وهو إبانة لهم عن الصراط المستقيم، فكأنهم لما طلبوا الهداية إلى الصراط المستقيم جاءهم الجواب ذلك الصراط الذي سألتم وطلبتم الهداية إليه هو ذلك الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢) ﴾ [فصلت].

وفي أحد أوجه التفسير أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، وقد قيل: إنه مروي عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال ابن مسعود – رضي الله عنه-: "﴿ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾هو القرآن».

وقيل: إنه مروي عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: «الصراط المستقيم كتاب الله»(٢٦٤).

ولا شك أن القرآن الكريم موضح لمعالم الصراط ومبين لمناراته، وموجه لحدوده، ومرشد لسبل السعادة والفلاح المؤدية للفوز والنجاح في الدارين، ولما كانت حاجة العباد إلى الهداية إلى الصراط المستقيم حاجة من أشد الحاجات، وضرورتُهم إلى معرفته والدلالة عليه والعلم والعمل والتحقق به ضرورة من أشدّ الضرورات وأعظمها مطلبًا وأرجاها نفعًا وأعظمها مثوبة وأجرًا وأحمدها عاقبة؛ ناسب أن يرد الترغيب في الإلحاح في طلبه في مطلع فاتحة الكتاب مجملًا، ثم ناسب أن يرد جواب العباد لما فيه الدلالة على هذا الصراط في أطول سور القرآن مفصلًا وموضحًا ومبينًا، ولا شك أن هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على كمال ربوبية الله تعالى، وأن ربوبيته سبحانه وتعالى مبناها على رحمته ورأفته بعباده وإرادة الخير لهم ودلالتهم عليه وإيصاله إليهم، ولا خير أعظم من الهداية والدلالة عليها والإرشاد إليها، ومن ثَمَّ التوفيق والإلهام لها.

٤-و«أوائل هذه السورة مناسبة لأواخر سورة البقرة، لأن الله تعالى لما ذكر أن الحامدين طلبوا الهدى، قال: قد أعطيتكم ما طلبتم: هذا الكتاب هدى لكم فاتبعوه، وقد اهتديتم إلى الصراط المستقيم المطلوب المسؤول، ثم إنه ذكر في أوائل هذه السورة الطوائف الثلاث الذين ذكرهم في الفاتحة: فذكر الذين على هدى من ربهم، وهم المنعم عليهم، والذين اشتروا الضلالة بالهدى، وهم الضالون، والذين وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ، وهم المغضوب عليهم»(٢٦٥).

لذا لما كانت الفاتحة مشتملة على مطلب الهداية لصراط المنعم عليهم، ذكر الله بعدها صراطين آخرين وهما صراط المغضوب عليهم وهم اليهود ومَن شابههم، وصراط الضالين وهم النصارى ومَن شابههم فقال ربنا: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، ناسب أن تُفتتح سورةُ البقرة بما يدل على طريق الهداية لصراط المنعم عليهم

---

(٢٦٤) الدر المنثور للسيوطي (٣٩/١)، وعزاه السيوطي لوكيع وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر وابن الأنباري، والحاكم والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ڤ. قال الحاكم بعده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وقد جاء مرفوعًا عن على بن أبي طالب عن النبي ﷺ قال: «الصراط المستقيم كتاب الله» تفسير ابن أبي حاتم (٣٠/١) رقم (٣٢).

قال ابن كثير: «وقد رُوي عن عليٍّ وهو أشبه، والله أعلم»: تفسير ابن كثير (٤٢/١).ولعل كونه موقوفًا أصح.

(٢٦٥) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي(٢/١).

ألا وهو: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة] والمتقون وصفٌ من أوصاف المنعم عليهم أهل الصراط المستقيم، وهو كما وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، ففيه دلالة واضحة وتأكيد على أنهم لما طلبوا الهداية دُلُّوا على هذا الكتاب المجيد الذي يهدي لأقوم طريق، وأوضح سبيل، ألا وهو الصراط المستقيم.

ثم تلا سبيل المنعم عليهم في سورة البقرة سبيل المغضوب عليهم وهم اليهود، وسبيل الضالين وهم النصارى كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) ﴾[البقرة] والآية شملت أهل الصراطين من المغضوب عليهم والضالين، ذلك لأن أهل الصراطين المغضوب عليهم والضالين يشملهم وصف الكفر.

ومن هنا يتبين أوجه المناسبة بين خاتمة سورة الفاتحة مع مفتتح سورة البقرة.

المطلب الثاني: التناسب العام بين محتوى السورتين الكريمتين.

١- إن من أوجه التناسب بين السورة وتاليتها علاقته الإجمال والتفصيل، فما أُجمل في الأولى يرد مفصلًا في تاليتها، وقد سبق آنفًا الإشارة لشيء من البيان الموجز بشأن هذا الجانب وصدده.

هذا ولقد «افتَتح الله سبحانه كتابه بهذه السورة؛ لأنَّها جمَعتْ مقاصد القرآن، ولأنَّ فيها إجمالَ ما يحويه القرآن مفصلًا؛ فجميع القرآن تفصيل لِمَا أجملتْه، وفي ذلك براعة استهلال؛ لأنَّها تنزل من سور القرآن منزلَ دِيباجة الخطبة أو الكتاب»(٢٦٦).

٢-هذا وعلى العموم، فإن سورة الفاتحة قد حوت معاني القرآن العظيم كله، واشتملت على مقاصده الأساسية، فقد أُجمِلَ فيها الدينُ كله أصوله وفروعه، عقيدة وعبادة، وشريعة ومنهاجًا، كما أنها حوت قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر مجملة، والإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ووجوب إفراده الله تعالى بالعبودية والاستعانة إجمالًا، وإفراده تعالى- كذلك- بالسؤال والدعاء والتوجه إليه سبحانه بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وسؤاله الثبات عليه، وسلوك سبيل المنعم عليهم واتباع نهجهم، وتجنب سبيل المغضوب عليهم وسبيل الضالين، وفيها الإخبار عن قصص الأمم الغابرة، والاطلاع على معارج ومنازل أهل السعادة، ومنازل ومدارك أهل الشقاء، وفيها التعبد لله بالاستجابة له سبحانه في فعل المأمور وترك المحظور، وغير ذلك مما حوته السورة من مقاصد وأهداف مجملةً.

أما سورة البقرة فهي أطول سور القرآن قاطبة، وهي من السور المدنية التي تعنى بجانب التشريع وتفاصيله، شأنها في ذلك شأن السور المدنية، التي تفصل الأحكام التشريعية وتبينها، عقائد كانت أم عبادات، معاملات كانت أم أخلاق وسلوكيات.

فهي تبين وتفصل الأحكام التشريعية والأحكام العملية في العبادات والمعاملات كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، وكذلك تبين الحدود والفرائض والأحكام التي تنظّم حياة الفرد والجماعة، وهذا ما أُجمِلَ في الفاتحة وفُصِل ها هنا في البقرة.

---

(٢٦٦) ينظر: البرهان في تناسب سور القرآن للبقاعي (ص: ١٨٧)، تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ص: ٤٩-٥١٠).

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- قد ورد في الفاتحة التحذير من سلوك سبيل المغضوب عليهم وسلوك سبيل الضالين إجمالًا، فناسب ذلك أن يرد في البقرة ذكر ذلك تفصيلًا.

فجاء في البقرة بيان كفر وشرك وضلال أهل الكتاب وفضحهم وبيان صريح كفرهم، فاليهود والنصارى نسبوا لله تعالى الولد صراحة، وقال بعضهم عن المسيح عليه السلام: إنه نفسه هو الله، وقال البعض منهم: هو ابن الله، وقال البعض الآخر منهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾. قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣]. تعالى الله عما يقولوا الظالمون علوّا كبيرًا.

٤- وكذلك لما أُجمِلَ في الفاتحة التحذيرُ من سلوك صرط المغضوب عليهم وهم اليهود وكل من عرف الحق ولم يعمل به، ولا شك في أن المنافقين يشملهم هذا الوصف.

فقد ناسب أن يأت هنا في البقرة مفصلًا ذكر المنافقين وبيان أحوالهم وكشف عوارهم وفسادهم وإفسادهم في المجتمع المسلم، وبيان ضلالهم وإظهار فضائحهم والكشف عن خبثهم وكشف خبيئة نفوسهم الدنيئة وإظهار سوء طباعهم وخوارهم وجبنهم وأنهم لا ولاء لهم للدين أبدًا، وأنهم لاهم لهم إلا الكيد للإسلام وأهله وقد ضموا لذلك حبهم للعرض الزائل والمتاع الفاني من الحياة الدنيا.

ولعل في ذلك الاختصار إيضاح، يغني عن التطويل وزيادة الإفصاح.

المبحث الثالث:

مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض.

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: المناسبة في مطلع السورة.

«لما أثبت بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار(٢٦٧) إلى أنه يستحقه أيضًا من حيث كونه ربًّا مالكًا منعمًا فقال﴿ رَبِّ ﴾ وأشار بقوله: ﴿ الْعَالَمِينَ﴾ إلى ابتداء الخلق تنبيهًا على الاستدلالات بالمصنوع على الصانع(٢٦٨) وبالبداءة على الإعادة كما ابتدأ التوراة بذلك»[٢٦٩].

فلما كان حمده تبارك وتعالى مستغرقًا جميع النعم ناسب أن يأتي بعد حمده وصفه بالربوبية العامة التي عمّ بها جميع خلقه بنعمه الظاهرة والباطنة، مبينًا سبحانه استحقاقه جل في علاه وصف ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

ومما يؤيد ما ذكره الباحث آنفًا قول الطاهر بن عاشور:

«وهو وصف لاسم الجلالة[٢٧٠]، فإنه بعد أن أسند الحمد إلى اسم ذاته -تعالى-تنبيهًا على الاستحقاق الذي عقب بالوصف وهو الرب ليكون الوصف متعلقًا به أيضًا؛ لأن وصف المتعلق متعلق أيضًا»[٢٧١].

المطلب الثاني: مناسبة قوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ بالآية السابقة لها وهي قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾:

«ولما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة أتبع ذلك بصفتي ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ترغيبًا في لزوم حمده، وهي تتضمن تثنية تفصيل ما شمله الحمد أصلًا»[٢٧٢].

والبقاعي يعني بذلك: أن ربوبيته تبارك وتعالى مبنية على الرحمة، فلذلك جاءت صفتي ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ بعد وصفه سبحانه ذاته العلية بأنه: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، ليتبين ويتأكد أن تلك الربوبية مبناها على الرحمة التي هي من أخص صفات الرب الكريم سبحانه وتعالى.

---

(٢٦٧) وعبارة: (أشار) تدخل في باب الأفعال, وباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

(٢٦٨) و(الصانع) ليس من أسماء الله تعالى ولا من صفاته، وإنما هذا من باب الإخبار، وهذا الباب أوسع من باب الأسماء والصفات وهذا قول عموم أهل العلم، فأسماء الله تعالى وصفاته الحسنى توقيفية، فلا يُسمَّ الربُ تعالى ولا يُوصفُ إلا بما ثبت لذاته العلية من الأسماء والصفات في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة.

(٢٦٩) نظم الدرر للبقاعي (١٧/١).

(٢٧٠) وقول ابن عاشور: «وهو وصف لاسم الجلالة»، يعني بذلك: وصف الرب جل في علاه أنه: (رب العالمين).

(٢٧١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ص: ١٦٦).

(٢٧٢) نظم الدرر للبقاعي (١٧/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الثالث: مناسبة قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾.

«ولما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكًا وكانت الربوبية لا تتم إلا بالمِلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر المنتج لنفوذ الأمر أتبع ذلك بقوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ترهيبًا من سطوات مجده»(٢٧٣).

فدل كونه سبحانه وتعالى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾على كمال وتمام ربوبيته جل في علاه، فلا تتم الربوبية إلا بكمال الملك وتمامه، فجاءت مناسبتها تأكيدًا على عموم وشمولية وكمال ربوبيته جل في علاه.

ومن ذلك يتبين أنه سبحانه وتعالى ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فإذا تحقق ملكه سبحانه ليوم الدين وهو اليوم الأعظم الذي يجمع الله فيه الأوليين والآخرين ليجازيهم بأعمالهم، فلا شك في ثبوت ملكه لما هو دونه من ملك الدنيا وما فيها وما عليها، ومن كمال ملكه لهما وتمامه أنه مدبر الأمر وله التصرف الكامل فيهما لا ينازعه فيهما أحد من خلقه، وبقوله سبحانه: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ يتضح أن كل مُلكٍ في الدنيا ينسب لأحد من خلقه إنما هو ملك زائل لا محالة، قال ربنا ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)﴾ [غافر].

«و ﴿ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ في الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بإمضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، وهو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد»(٢٧٤).

«فهو تعالى بمقتضى ذلك كله ملِك يوم الدين ومالكه مطلقًا في الدنيا والآخرة، وإلى الملك أنهى الحق تعالى تنزل أمره العلي لأن به رجع الأمر عودًا على بدء بالجزاء العائد على آثار ما جبلوا عليه من الأوصاف تظهر عليهم من الأفعال كما قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ﴾ [الأنعام:١٣٩] وقال: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَهَا ﴾[الأحقاف:14]، وقال تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[الواقعة: ٢٤] وبه تم انتهاء الشرف العلي وهو المجد الذي عبر عنه قوله تعالى: «مجَّدَني عبدي»(٢٧٥)»(٢٧٦).

«ولما لم يكن فرق هنا في الدلالة على الملك بين قراءة «مَلِك» وقراءة «مالك» جاءت الرواية بهما، وذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهرة وعرض، فلا يكون لأحد معه أمر ولا معنى للمَلِك سوى هذا»(٢٧٧).

---

(٢٧٣) المرجع السابق (١/٢٩).

(٢٧٤) المرجع السابق (١/٣٠).

(٢٧٥) أخرجه مسلم (٣٩٥).

(٢٧٦) نظم الدرر للبقاعي (١/٣١).

(٢٧٧) المرجع السابق (١/٣٢).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلب الرابع: مناسبة قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾:

لما تحقق وتبين أنه سبحانه وحده (مالك يوم الدين) ناسب ألا يُعبد إلا إياه ولا يستعان إلا به، وفي هذا بيان لاستحقاقه سبحانه الإفراد بالعبودية والاستعانة.

وفيه التفات من الغيبة إلى الخطاب بكلمة(إياك).

«وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الاستعانة ثمرتها، وإعادة (إياك) مع الفعل الثاني تفيد أنَّ كلًّا من العبادة والاستعانة مقصود بالذات»(٢٧٨).

وكلمة (إيَّاكَ) في الجملتين مفعول به حقه التأخير، لكنها تقدمت فعلي (نعبد) و(نستعين) لتفيد الحصر والاختصاص، وتقديم المعمول في اللغة كما هو معلوم يفيد الحصر والاختصاص، فتحصر العبادة لله ولا يختص به سواه سبحانه، وكذلك الاستعانة، فيكون المعنى: لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا بك.

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾الآية [البقرة].

ومثله أيضًا قوله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾الآية [البقرة].

«فلما استجمع الأمر استحقاقًا وتحببًا وترغيبًا وترهيبًا كان من شأن كل ذي لبّ الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال عادلًا عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا، مقدمًا للوسيلة على طلب الحاجة، لأنه أجدر بالإجابة (إياك) أي: يا من هذه الصفات صفاته! (نعبد) إرشادًا لهم إلى ذلك؛ ومعنى (نعبد) كما قال الحرالي(٢٧٩):

«تبلغ الغاية في أنحاء التذلل، وأعقبه بقوله مكررًا للضمير حثًّا على المبالغة في طلب العون ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إشارة إلى أن عبادته لا تتهيأ إلا بمعونته وإلى أن ملاك الهداية بيده: فانظر كيف ابتدأ سبحانه بالذات، ثم دل عليه بالأفعال، ثم رقي إلى الصفات، ثم رجع إلى الذات إيماء إلى أنه الأول والآخر المحيط، فلما حصل الوصول إلى شعبة من علم الفعال والصفات علم الاستحقاق للإفراد بالعبادة فعلم العجز عن الوفاء بالحق فطلب الإعانة»(٢٨٠).

ولا شك في أن كلام البقاعي آنفًا كلامٌ بديعٌ يتبين من ثناياه عظم مكانة مناسبات الآية مع تاليتها وسابقتها، وجمال الترابط النصي في كتاب الله وما يظهر ويتجلى من معاني عظيمة تزيد المعنى وضوحًا وتجلى عيانًا عظم كلام الله تبارك وتعالى لأولي الألباب.

---

(٢٧٨) إعراب القرآن الكريم (ص: ٣١).

(٢٧٩) الحَرَالِّيُّ (٠٠٠ -٦٣٨ هـ) هو العلَّامة المتفنن أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الأندلسي. ولد بمراكش، وأخذ النحو عن ابن خروف، ولقي العلماء، وجال في البلاد، ولهج بالعقليات، وسكن حماة، وعمل تفسيرًا عجيبًا ملأه باحتمالات لا يحتمله الخطاب العربي أصلًا، وتكلم في علم الحروف والأعداد، وزعم أنه استخرج منه وقت خروج الدجال ووقت طلوع الشمس من مغربها، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحسنى، فمن شاء فلينظر: في تآليفه فإن فيها العظائم. سير أعلام النبلاء (٤٧/٢٣). ينظر: التكملة (٦٨٧/٢) سبك المقال لفك العقال (ص: ٢٩) خ. م. م. رقم (١٠٥)، و عنوان الدراية (ص: ١٤٤ وما بعدها) وجمهرة أنساب العرب لابن حزم (ص: ٤٠٤).

(٢٨٠)نظم الدرر للبقاعي (٣١/١-٣٣).

قال الحرالي: «وهذه الآيات أي: هذه وما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريًا على لسان خلقه فإن القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه ومنه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق على اختلاف...ألسنتهم وأحوالهم وترقي درجاتهم ورتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه لقصورهم وعجزهم فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وُسع خلقه وجعل تلاوتهم لما أنبأ به على ألسنتهم نازلًا لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرًا منهم لطفًا بهم وإتمامًا للنعمة عليهم، لأنه تعالى لو وكلهم في ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح به أحوالهم في دينهم ودنياهم، ولذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم من كلامه مما يكون أداء لحق فضله عليهم بذلك، وإذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله وتمجيده، فإذًا ليس لهم وصلة إلا تلاوة كلامه العلي بفهم كان ذلك أو بغير فهم »[٢٨١].

المطلب الخامس: مناسبة قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾. بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

لما أفرد العبادُ ربَّهم بالعبودية وأذعنوا له، ولجأوا إليه وأفردوه سبحانه-كذلك-بالاستعانة احتاجوا إلى سبيل واضح وطريق قويم يهتدوا إليه ويسيروا عليه في تحقيق هذه العبودية وتلك الاستعانة، فناسب أن يدلهم ربُهم على طلب وسؤال الهداية والدلالة على هذا الطريق ليلهمهم التوفيق إليه ويعينهم على الثبات عليه فناسب أن يقول: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾وبذلك تتحقق لهم الهدايتين جميعًا: هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام. ولا شك في أن سؤال الله الهدايتين جميعًا هو استعانة به سبحانه لتحقيق عبودية الاستقامة على الصراط، ومن هنا يتبين المناسبة بين الآيتين.

وفي نحو ذلك قال ابن القيم رحمه الله:

«لما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب، ونيله أشرف المواهب، علَّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده، ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء»[٢٨٢].

وكلام ابن القيم رحمه الله آنفًا إنما يقصد به أوجه التناسب في سورة الفاتحة.

«وفي الآية ندب إلى اعتقاد العجز واستشعار الافتقار والاعتصام بحوله وقوته، فاقتضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تلقينًا لأهل لطفه وتنبيهًا على محل السلوك الذي لا وصول بدونه»[٢٨٣].

المطلب السادس: مناسبة قوله: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾.

«ولما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ولما كانت النعمة قد تخص الدنيوية عينها واستعاذ من أولئك الذين شاهدهم في التيه سائرين وعن القصد عائرين جائرين أو حائرين فقال: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ »[٢٨٤].

---

(٢٨١) المرجع السابق (١٣٤-٣٥).

(٢٨٢) مدارج السالكين (٤٨/١).

(٢٨٣) نظم الدرر للبقاعي (٣٧/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو يعني بالجائرين كل من عرف الحق ولم يعمل به كاليهود؛ لأنهم عرفوا الحق ولم يعملوا به فهم جائرون على أنفسهم ظالمون لها بعدم اتباعهم للحق والعمل به بعد أن علموه، وعنى بالحائرين كل من عبد الله على جهالة وضلالة كالنصارى الذين عبد الله على جهالة وضلالة فهم حائرون في وصفهم لعيسى المسيح عليه السلام وأمه الصديقة تائهون عن عبودية الله وتوحيده، قال تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٧٧].

يقول أبو زهرة(٢٨٥):

«وإنَّه لينطبق عليهم بلا ريب وصف الضّالين؛ لأنَّهم عند تخلّيهم عن مبادئ المسيح أضلَّهم بولس وأشباهه، فضلّوا، ثمَّ أضلّوا غيرهم من بعدهم، وكفروا بما جاء به المسيح، وضلّوا ضلالًا بعيدًا، وكفروا، ولا يزالون يتيهون في أوهامهم، كما توهَّموا وأوهموا فيما سمّوه رؤية العذراء، وكذبوا وافتروا، وحاولوا الإضلال كثيرًا. ومع انطباق الضَّلال والتَّضليل عليهم، أولى بهم ثمَّ أولى أن يكونوا ممَّن غضب اللهُ تعالى عليهم، فغضب الله تعالى يحيط بهم من كل جانب؛ ولذلك نرى أن يدخلوا فيمن غضب الله تعالى عليه، ويصح أن نقول: إن فيهم الأمرين»(٢٨٦).

ولعل فيما مضى بيان كافٍ لانقص فيه ولا إجحاف. والحمد لله لرب العالمين.

---

(٢٨٤) المرجع السابق (١/٤٥).

(٢٨٥) زهرة التفاسير لمحمد أبي زهرة، تفسير قوله تعالى: (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [الأعراف: ١٤٧].

(٢٨٥) محمد أحمد مصطفى أحمد المعروف بأبي زهرة (١٣١٥هـ،١٣٩٤ هـ) عالم وباحث وكاتب مصري من كبار علماء الشريعة الإسلامية والقانون في القرن العشرين، ينظر: الأعلام، للزِّركليّ (٦/٢٥).

(٢٨٦) زهرة التفاسير: (١/٧٠-٧١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

المبحث الرابع:

علاقة السورة الكريمة بالسور المفتتحة بالحمد لله:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: ترتيب السور المفتتحة بالحمد لله

على ضوء ترتيبها في المصحف الشريف على النحو التالي:

١-سورة الفاتحة.

٢-سورة الأنعام.

٣-سورة الكهف.

٤-سورة فاطر.

٥-سورة سبأ.

وهي متباعدة غير متجاورة في ترتيبها في المصحف وهي سور كلها مكية النزول.

وقد «فُصِلَ بين سورة (أمّ الكتاب) وسورة (الأنعام) بأربع سور، وبين سورة (الأنعام) وسورة (الكهف) بإحدى عشرة سورة، وبين سورة (الكهف) وسورة (سبأ) بخمسَ عشرة سورة، ولم يكن بين سورة (سبأ) وسورة (فاطر) فاصل، فليس لنا إلَّا أن نعمد إلى السعي إلى تدبر واستبصار شيء»[٢٨٧].

يعني: [من التناسب بينها وبين بعضها البعض عامة وبينها وبين فاتحة الكتاب خاصة] [٢٨٨] وأسلافنا الأماجد كان منهم سعْيٌ إلى ذلك.

المطلب الثاني: بيان بعض أوجه المناسبة بين السور المفتتحة بالحمد.

أبرز أوجه التناسب بين السور المفتتحة بالحمد كلِّها:

إن المتأمل في السورة المفتتحةٌ بالحمدِ يتضح ويتبين له عياناً اقتران ذكر حمد الله تعالى في مطالع تلك السور الخمس بذكر نعمه تبارك وتعالى المستوجبة لحمده سبحانه، سواء كانت تلك النعم ظاهرة أم باطنة، عاجلة أم آجله، نِعَم الحياة الدنيا وما يتعلق بها من مقومات وأسس متمثلة في نعم الله على عباد التي بها صلاح معاشهم ولا غنى لهم عنها البتة، وَنِعَمَهُ العظيمة المتمثلة في بَعث الرسلِ والدلالة على ما بُعِثوا به بإنزال الكتبِ والهداية لشرعته التي شرعها على ألسنتهم، ثم نِعَم ذكر البعثِ والجزاءِ على الأعمال وبيان ما يترتب عليها من الثواب والعقاب، فيطمئن بذلك أهل الإيمان إلى موعود ربهم

---

(٢٨٧) العزفُ على أنوار الذِّكر-معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة- محمود توفيق محمد سعد (٥٧/١). العزفُ على أنوار الذِّكر-معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة-محمود توفيق محمد سعد: أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر-شبين الكوم-١٤٢٤هـ. (٥٧/١). - (غير مطبوع).

مع الاعتراض على مسمى الكتاب بلفظة: (العزف) حتى وإن كان المؤلف لا يقصد ذلك إلا إنه لا يعذر بوصف كلام الرحمن ووسمه بما يُوصف ويُوسم به غناءُ الشيطان.

(٢٨٨) ما بين المعكوفين إضافة من الباحث ليستقيم المعنى.

شبكة الألوكة www.alukah.net

بالجنة والنعيم المقيم لديه سبحانه فيزدادوا طاعة لربهم وإقبالًا وثباتًا، وينزجر بذلك أهل الكفر والظلم والطغيان والعصيان فينزجروا ويرتدعوا ويعودوا إلى ربهم تائبين منيبين إليه ومستغفرين.

يقول السعد التفتازاني [٢٨٩] في مفتتح شرحه التلويح في أصول الفقه:

«الحمد يكون على النعمة وغيرها، فالله تعالى يستحق الحمد،

أولًا: بكمال ذاته وعظمة صفاته.

وثانيًا: بجميل نعمائه وجزيل آلائه.

ونعمة الله –سبحانه وتعالى–على كثرتها ترجع إلى إيجاد وإبقاء أولًا، وإيجاد وإبقاء ثانيًا....

(وقد) أشير في الفاتحة إلى جميع النعم، وفي (الأنعام) إلى الإيجاد وفى (الكهف) إلى الإبقاء أولاً، وفى (سبأ) إلى الإيجاد وفى (الملائكة)[٢٩٠] إلى الإبقاء ثانيًا، وهذا الذي قاله السعد فيه إجمال»[٢٩١].

والتفتازاني بقوله آنفًا يُجمل ويشيرُ إلى أن ما يُحمد عليه اللهُ يكون بسبب النعم وبسبب غيرها.

مُشِيرًا ومفصلًا القول في أن استحقاق اللهِ للحمد يكون لسببين

الأول: لكمال ذاته وصفاته سبحانه وتعالى.

فهو سبحانه تعالى مستحق للحمد لكمال ذاته العلية، ولما اتصف به من صفات الجلال والكمال التي وصف بها نفسه تبارك وتعالى.

والثاني: لما أولاه لعباده من النعم ثانيًا.

وأن إحسان الله لعباده وإنعامه عليهم بسوابغ النعم الظاهرة والباطنة كل ذلك مؤجبٌ لحمده تبارك وتعالى.

ثم أشار إلى أن نعم الله مع كثرتها فإن مرجعها كلها إلى إيجاد وإبقاء أولًا، وإيجاد وإبقاء ثانيًا، وقد بين أن ذلك الإيجاد والإبقاء بأقسامهما كلها قد أشير إليه في السور المفتتحة بالحمد، ولا شك أن ذلك من أوثق أوجه التناسب بينها جميًعا.

وكان: «القرطبيّ[٢٩٢] قد سبق «السعد» بإشارة عجلى إلى ذلك: قال في مفتتح تأويل سورة (الأنعام): «... فإن قيل: فقد افتتح غيرها بالحمد لله، فكان الاجتزاء بواحدة يغني عن سائره»، فيقال: لأنّ لكلّ واحدة منه معنى في موضعه لا يؤدي عنه غيره من أجل عقده بالنعم المختلفة، وأيضًا فلما فيه من الحجة في هذا الموضع على الذين هم بربهم يعدلون»، فانظر في قوله: (من أجل عقده بالنعم المختلفة) فإنه هادٍ بإشارته إلى ما جاء «السعد» فمنحه بعضًا من البيان»[٢٩٣].

---

(٢٨٩) سعد الدين التفتازاني (٧٢٢هـ –٧٩٢هـ)، عالم وفقيه متكلم، وأصولي نحوي.

هو سعد أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الغازي التفتازاني السمرقندي الحنفي. ولد بقرية تفتازان من مدينة نسا في خراسان في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عالما وقاضيًا، وكذا كان جده ووالد جده من العلماء. وينظر: الدرر الكامنة (٣٥٠/٤)، عجائب المقدور(٤٦٧)، الدليل الشافي على المنهل الصافي(٧٣٤/٢).

(٢٩٠) يعني بها: سورة فاطر، وإنما سماها سورة الملائكة لذكر الملائكة في مطلعها.

(٢٩١) السعد التفتازاني: التلويح على التوضيح (٤/١). التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لصدر الشريعة الحنفي: ط: محمد على صبيح: القاهرة–السعد التفتازاني–(د.ت)

(٢٩٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الخزرجي الأندلسي القرطبيّ المصري المتوفي بصعيد مصر سنة (٦٧١هـ).

(٢٩٣) العزفُ على أنوار الذِّكر(٥٨/١).

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقول القرطبيّ آنفًا يشير إلى أنه إن كانت السور الخمس كلها مفتتحة بالحمد، فكان مفتتح سورة واحدة يُغني عن الافتتاح في بقيتها بالحمد، فأشار أن لكل حمد في مفتتح كل سورة من تلك السور معنى خاص لا يقوم مقامه غيره لأن الحمد في مطلع كل سورة من تلك السور إنما أنزل ووُضِعَ وعُقِدَ لأجل نعمة مختلفة عن باقي المواضع في السور الأخرى، وإن كان كله يسمى حمدًا.

المطلب الثالث: العلاقة الخاصة بين الفاتحة وبين كل سورة من تلك السور المفتتحة بالحمد.

١-سورة الأنعام:

يعمد البقاعي في (نظم الدرر) إلى تفصيله مبينًا احتواء سورة (أمّ الكتاب) على مقتضيات الحمد على كمال الذات وعلى جميع نعم الإيجاد والإبقاء.

فالحمد على كمال الذات قوله - سبحانه وتعالى-: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾[الأنعام:١] أي: (أنه المستحق لجميع المحامد لا لشيء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات) أما الإيجاد الأول في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾[الأنعام] فإنَّ الإخراج من العدم إلى الوجود أعظم تربية.

وأما الإبقاء الأول في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾أ ي: المنعم بجلائل النعم ودقائقها التي بها البقاء.

وأما الإيجاد الثاني في قوله -سبحانه وتعالى-:﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾وهو ظاهر (أي: لا يكون مالكًا لهذا اليوم إلا إذا أوْجَدَ الخلق مرة ثانية كمثل ما أوجدهم في الأول).

وأما الإبقاء الثاني في قوله -سبحانه وتعالى-:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ إلى آخرها، فإن منافع ذلك تعود إلى الآخرة.

وأما سورة الأنعام فالحمد فيها على نعمة الإيجاد الأول: ولذلك ذكر فعل الخلق في مطلعها: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ(٢)وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)﴾[الأنعام].

ثم انتشر الحديث عن الخلق والإيجاد فى آياتها:

في الآيات التالية: (١٤-٣٨-٧٣-٧٩-٩٤-٩٥-٩٧-٩٨-٩٩-١٠٠-١٠١-١٠٢-١٣٦-١٤١-١٦٤-١٠١) (٢٩٤) (٢٩٥)

وكلام البقاعي هنا موافق لكلام التفتازاني من جهة أسباب استحقاق الرب جل في علاه للمحامد كلها.

و«سورة الأنعام المكية عنيت بحمد الله -سبحانه وتعالى-على نعمة الإيجاد الأول الناظر إلى قوله -سبحانه وتعالى-في سورة الفاتحة ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقد نظرت في مواقع كلمة ربّ في السياق القرآني، فرأيت أنه يَعظم وقوعها في الآيات المكية، وقد جاءت في سورة (الأنعام) أكثر من خمسين مرة..

ولو أنَّا جمعنا معجم كلمات سورة (الأنعام) وتبصرنا المفردات المتعلقة بالخلق والإيجاد الأول لتبين لنا غلبة معنى الإيجاد الأول على هذه السورة المكية المقررة معنى التوحيد الذي هو أساس الدين الذي ارتضاه الله -عز وجل - لعباده.

---

(٢٩٤) العرف على أنوار الذكر (١/١٥٩)، وينظر: مصاعد النظر للبقاعي (٢ / ١١٩).

(٢٩٥) تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها.

شبكة الألوكة www.alukah.net

وفى خاتمة السورة – أيضًا– تناغٍ وتآخٍ (٢٩٦) مع مطلَعِها المعْلِنَ حمد الله على نعمة الإيجاد الأول: كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴾ [الأنعام]وكما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥)﴾ [الأنعام].

فقد ختم السورة بما به ابتدأها فإن قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٦٥) ﴾[الأنعام] هو من مَعْدِنِ قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) ﴾[الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤) ﴾[الأنعام].

هما من معنى قوله –سبحانه وتعالى–: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) ﴾[الأنعام].

فدلَّ هذا كُلُّه على أن سورة (الأنعام) تتكفل بتفصيل(٢٩٧) نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات والأرض وما بينهما وما فيها من آدمي وغيره المشار إليه في (الفاتحة) برب العالمين، كما تقدم.

فالتحميد في الأنعام فرد من أفراد تحميد (الفاتحة) تحقيقًا لكونها أمًّا»(٢٩٨).

وبهذا يتبين العلاقة والتناسب بين السورتين.

«ومنزل سورة الأنعام من السور المكية منزل سورة (البقرة) من السور المدنية.

(ف) سورة الأنعام نزلت مبيّنَةً لقواعد العقائد وأصول الدين:.. فغيرها من السور المكية المتأخر عنها نزولا مبنيٌّ عليها، وسورة البقرة قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الإنعام، فغير سورة (البقرة) من السور المدنية مبنيٌّ عليها»(٢٩٩).

٢–سورة الكهف

---

(٢٩٦) ومعنى تناغ: «تَنَاغِي العَاشِقَيْنِ»: تَنَاجِيهِمَا، مُلاطَفَةُ أحَدِهِما الآخَرَ. المعجم الغني (تَنَاغٍ) عبد الغني أبو العزم. ولعله يقصد الترابط والتآخي بين خاتمة السورة ومطلعها.

(٢٩٧) الأولى أن يُقال: متضمنة تفصيلًا لنعمة الإيجاد، وذلك تحاشيًا عن التوسع في وصف سور القرآن بأوصاف قد لا تتوافق مع كون القرآن كلام الله تعالى، الذي هو منزل غير مخلوق.

(٢٩٨) العزف على أنوار الذكر (١٦١–١٦٤). وينظر: نظم الدرر للبقاعي (٢/٥٧٩–٥٨٠).

(٢٩٩) ينظر: الموافقات للشاطبي (٣/٤٠٦–٤٠٧). الموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٧.

(وأما سورة الكهف) فإنَّ الحمد فيها كان على كمال ذاته ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾وعلى نعمة الإبقاء الأول: أي: الإبقاء في الأرض بنعمة الهداية وذلك الإبقاء إنَّما يكون بالكتاب المنزل وبالنبيّ المرسل ﷺ، ولذلك استفتح السورة بهذين قائلًا: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) ماكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا (٥) ﴾[الكهف:١-٥].

فنصَّ على إنزال الكتاب على عبده مقدمًا قوله: ﴿ عَلى عَبْدِهِ﴾ تشريفًا للرسول -صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا- وتباينًا لمنزلته، وأنّه أنزل عليه الكتاب هداية للناس إلى الحق استبقاء لهم في الأرض دون إهلاك، ولم يجعل لكتابه عوجًا، فهو المستقيم الذي لا عيب فيه مما يجعل أسباب البقاء متينة، فهو الهادي إلى كلِّ حقٍّ وخير، وهو الكتاب القيم المهيمن على غيره والمقيم له ولكل من استمسك به. وغير خفيّ أن نظام العالم وبقاء النوع الإنساني يكون بالنبيّ والكتاب»[٣٠٠]. وقد نصّ عليهما في مفتتح السورة.

وقد كثر الحديث عن أسباب البقاء الأول في الحياة الدنيا، فذكر قصة أهل الكهف الذين كتب الله -سبحانه وتعالى- لهم البقاء والعصمة من الهلاك بالفتنة في دينهم كما انتظم بهم أمر من اطلع عليه من أهل زمانهم الذين كانوا على غير هُدى من الله-عز وجل - فأسلموا لما عرفوا من أمرهم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) ﴾ [الكهف]

وجاء الأمر بتلاوة ما أوحى فيه الهدى والحفظ: ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)﴾ [الكهف].

مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه والأمر بالصبر في قوله تعالى ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾[الكهف]،ففي ذلك تعاون على البر والتقوى الذين هما من أسباب البقاء الأول وذكر قصة صاحب الجنتين وصاحبه وما أحاط بصاحب الجنتين من فنائهما لعدم إيمانه واستمساكه بالهدى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾[الكهف].

وذكر من قصة العبد الصالح (الخضر) مع موسى عليه السلام أحوال من حفظوا من الفناء والهلاك كحال أصحاب السفينة وحال الأبوين الصالحين بقتل غلامهما الطاغي الكافر استبقاء لهم على الإيمان والصلاح، وحال الغلامين اليتيمين ابني الرجل الصالح، وبناء الجدار استبقاء لكنزهما.

وهذه الحلقة من قصة «موسى عليه السلام» لم تذكر في غير سورة الكهف على الرغم من ذكر قصته في مواطن كثيرة من سور القرآن الكريم(٣٠١).

---

(٣٠٠) المرجع السابق (٤/٤٤٢).

(٣٠١) ينظر: تفسير ابن كثير: أول سورة الكهف، وأسباب النزول للواحدي: (ص: ١٩٧) (١٣٨٨).

إذا ما تأملت الأحداث الثلاثة التي كانت من العبد الصالح (الخضر)، وما كان من شأن موسى عليه السلام في الاستفهام عمَّا كان من العبد الصالح (الخضر) عليه السلام، وتأملت حال موسى عليه السلام من قبل؛ لرأيت أنه قد كان موسى عليه السلام حال، وهو رضيع، كمثل حال خرق السفينة، ألا ترى أنّ أمه قد ألقت به في اليم لينجو؟ أتكون بمنطق العقل البشري نجاة في إلقاء وليد في اليم؟ أتلحظ شيئًا من الإشارة إلى معنى ﴿ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦)﴾[الكهف].

وكان منه قتل القبطيّ كمثل ما كان من العبد الصالح (الخضر) قتل الغلام الكافر.

وكان من موسى عليه السلام سقي الغنم للفتاتين دون أجر، وهو الذي كان في افتقار إلى ذلك، وهذا كمثل ما كان من العبد الصالح (الخضر)من بناء الجدار في قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما.

وهي قد نسقت في السورة كمثل ما نسقت نظائرها وقوعًا في حياة «موسى عليه السلام »: الأول فالأول.

تأمل هذا التقارب، وما فيه من لطائف الإشارات، ووجه البيان عنه في سورة الحمد على نعمة الإبقاء الأول، ومنزلة الفقه عن الله –عز وجل –وأثره في تحقيق كمال البقاء الأول».

وذكر من قصَّة ذي القرنين ما انتظم به من حال جميع أهل الأرض بما أقامه من الردم الحاجز بينهم وبين يأجوج ومأجوج فحفظ لهم البقاء الأول

ويشير الباحث: «إلى أن هذا فيه من التناسب الشيء البين الواضح الذي لا تكلف فيه ولا تعسف ولا إعمال للنص وتوجيهه على غير وجهته، والحمد لله».

﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)﴾الآية [الكهف].

هذا القصص مشير إلى أسباب البقاء الأول، ولم يذكر في غير هذه السورة وهو لم يذكر معها قصة (الروح) وجعلها في سورة (الإسراء) ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾[الإسراء]، على الرغم من أنَّ سؤال الكافرين كان عن الثلاثة: أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فجاء حديثه عن الروح في (الإسراء) لأنَّه به أليق وأنسب، وذكر قصة الكهف وذي القرنين هنا لما فيهما من دلالة على نعمة الإبقاء الأول بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم.

وقد ختم السُّورة بما هو دالٌّ على ذلك –أيضًا– فكان متناغمًا متآخيًا مع ما استفتحت به إذ يقول –سبحانه وتعالى–: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠) ﴾[الكهف] (٣٠٢).

٣–سورة سبأ

(وأما سورة سبأ) فإنَّ الحمد فيها كان على كمال ذاته – سبحانه وتعالى–(الحمد لله) وعلى نعمة الإيجاد الثاني بالبعث من القبور ويوم القيامة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١) ﴾[سبأ]،

(٣٠٢) وفيما يتعلق بأوجه المناسبة في سورة الكهف فينظر: العزف على أوتار الذكر

فقد جاء قوله: ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ﴾ دون ذكر الأول، بينما جاء في سورة «القصص»: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٧٠)﴾ [القصص].

ولم يرد ما جاء في سورة «سبأ» من اختصاص الآخرة بالذكر في أي سورة أخرى.

وذكر علمه بما يلج في الأرض وما يخرج وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهذا العلم الدقيق المحيط يستلزم القدرة على البعث وقد ذكر في السورة ما يدل على التبديل والبعث في مواطن عديدة ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (٥) ﴾[سبأ] ويبين -سبحانه وتعالى- التعجيب من حال الذين كفروا في انكارهم الإيجاد الثاني ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩)﴾ [سبأ].

فمقصود السورة تقرير أمر الآخرة البعث والإيجاد الثاني للحساب «ولقصّة «سبَأٍ» التي سميت بها السورة مناسبة كبيرة لهذا المقصد لما فيها من الآيات الشهودية المشهودة لاسيما عند العرب على قدرته -سبحانه وتعالى-على الإيجاد والإعدام للذات والصفات، والتحويل لما يريد من الأحوال، والتصرّف بالحكمةِ في الإعطاءِ والمنعِ ابتداءً وجزاءً لمن شكر أو كفر(٣٠٣).

فآيات السورة كما ترى يشيع فيها الحديث عن البعث والإيجاد الثاني وما فيه من حشر وحساب وعقاب فظهر أنَّ سياق الكلام إلى إثبات الحشر والرد على منكري الساعة ولا سيما في الآيات التالية: (١٦-٢١-٣٠-٣١-٥-٢٨-٤٠-٤٢-٤٦) (٣٠٤).

وقد ازداد جلاء بما ختمها به من قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)﴾[سبأ](٣٠٥).

٤-سورة فاطر

(وأما سورة فاطر) فإنَّ تستَهِلُّها بقوله - سبحانه وتعالى-: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) ﴾ [فاطر] دالٌ دَلالة بيّنة على نعمة الإبقاء الثاني يوم القيامة فقوله:﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾يتجلى ظهوره لنا أعظم ما يتجلى في الجنة؛ لأنَّه لا شيء يعدل ما في الجنة من تجدد الخلق، فإنَّه لا يُأكل منها شيءٌ إلا عاد كما كان في الحال، ولا

---

(٣٠٣) مصاعد النظر للبقاعي (٢/٣٧٧).

(٣٠٤) تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها.

(٣٠٥) العزف على أنوار الذكر (١/١٦٩:١٧١). بتصرف يسير.

يراد شيء إلا وجد في أسرع وقت، فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة، وكذا النار ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]:

فكانت جديرة باسم (فاطر) الدّال على كمال تحققه في الدّار الآخرة دار البقاء الثاني. ومن أعظم ما يتجلى فيه معنى قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)﴾[فاطر] (هو: أي: المعنى) (أن) الدار الآخرة: دار البقاء الأخير[٣٠٦]،[٣٠٧].

وقد توالت في السورة الآيات الدَّالة على ذلك الإبقاء الثاني، كما هو في الآيات:

(٧-١٢-١٠-٢١-٢٩-٣٢) [٣٠٨]

ثم ختمَ السورةَ بما هو جِدُّ جليٌّ في نعمة الإبقاء الثاني بإثابة الطائع ومعاقبة العاصي: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر].

يعلم الطائع، فيُثيبُه بطاعته ثوابًا لا ينقطع أبدًا، ويعلم العاصي، فيجازيه بعصيانه ما يستحق.

بهذا تبين لنا كيف أنَّ كلَّ سورة منها قد اختصت بغير ما اختصت به الأخرى من مقتضِيات الحَمْدِ، وكيف أنّها رتبت ترتيبًا مُحْكَمًا، فكانت (أمُّ الكتاب) جامعة للمحامد وكانت الأنعام.

للإيجاد الأول الذي يسبق الإبقاء الأوَّل الذي كانت له (الكهف) وكان الإيجاد الثاني بسورة (سبأ) وكانت آخر السور الخمس (فاطر) للنعمة العظمى والأخيرة (الإبقاء الثاني).

وبهذا يتبين لك عظيم دلالة الاستهلال على المقاصد المتصاعدة في السياق القرآنيّ، فلا يكون بِمَلْكِ أحد من العالمين أن يقدم سورة على أخرى ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (٧٨)﴾ [النساء][٣٠٩].

ويُختمُ المبحثُ ببيان أبين أوجه التناسب بين السور المفتتحة بالحمد بأوجز عبارة وأسهل إشارة كما ذكر ذلك السيوطي في الاتقان: نقلًا عن تَفْسِيرِ الْخُوَيِّيِّ [٣١٠].

---

(٣٠٦) نظم الدرر لبقاعي (١٩٩/٦).

(٣٠٧) وضمير الغائب المذكور (هو) يعود على: المعنى لا على الدار الآخرة، لئلا يُتوهم ذلك.

(٣٠٨) تم الإشارة للآيات بذكر أرقامها اختصارًا وليسهل للقارئ الكريم الرجوع إليها.

(٣٠٩)العزف على أوتار الذكر (١٧١/١). وما بعدها.

(٣١٠) الخُوَيِّي (٥٨٣-٦٣٧هـ) - شمس الدين أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخوبي الشافعي .

قرأ العقليات على فخر الدين الرازي، والجدل على الطاوسي، وسمع من المؤيد الطوسي، وكان من أذكياء المتكلمين، وأعيان الحكماء والأطباء، ذا دينٍ وتعبد، وله مصنف في النحو، وآخر في الأصول، وآخر فيه رموز فلسفية من إقليم أذربيجان. وولي قضاء دمشق فحمد .

سير أعلام النبلاء للذهبي (٦٤/٢٣-٦٥).

١-البخاري (٦٢٠٦،٦٢٠٥).

شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول: « ابْتُدِئَتِ الْفَاتِحَةُ بِقَوْلِه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَوَصَفَ بِأَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ الْمَخْلُوقِينَ:. وَفِي الْأَنْعَامِ وَالْكَهْفِ وَسَبَأٍ وَفَاطِرٍ لَمْ يُوصَفْ بِذَلِكَ؛ بَلْ بِفَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِ صِفَاتِهِ، وَهُوَ خلق السموات وَالْأَرْضِ وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فِي الْأَنْعَامِ، وَإِنْزَالِ الْكِتَابِ فِي الْكَهْفِ، وَمِلْكِ مَا فِي السموات وَمَا فِي الْأَرْضِ فِي سَبَأٍ، وَخَلْقِهِمَا فِي فَاطِرٍ:. لِأَنَّ الْفَاتِحَةَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَمَطْلَعُهُ فَنَاسَبَ الْإِتْيَانَ فِيهَا بِأَبْلَغِ الصِّفَات وَأَعَمِّهَا وَأَشْمَلِهَا».[٣١١]. (٣١٢)

ولعل في هذا كفاية لطالب سلوك طريق معرفة الحق ومريد الدلالة على سبل الهداية.

٢-ومسلم (٢١٤٣)، والترمذي (٢٨٣٧)، وأبو داود (٤٩٦١)، وأحمد (٢/٢٤٤، ٢/٣١٥).

(٣١١) الإتقان في علوم القرآن (٢/٢٣١).

٣١٤) يُنظر: عرفة بن طنطاوي، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة "تحليلية موضوعية"، رسالة دكتوراه، المؤلف/ عرفة بن طنطاوي، وهي أطروحة علمية نال بها الباحث درجة "الدكتوراه" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات. الناشر: دار المأثور، المدينة النبوية، تاريخ النشر: ١٤٤١هـ، عدد الصفحات: ٥٥٠صفحة، عدد المجلدات: ١.

أبرز النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة وتوصيات البحث وخاتمته.

أولًا: أبرز النتائج

توصلت تلك الدراسة لنتائج كثيرة هامة من أبرز ها ما يلي:

١-أن الفاتحة أم الكتاب هي أفضل سورة في القرآن.

ولذا فإنه على إيجازها لا يقوم مقامها غيرها ولا يسد مسدها سواها؛ لأنها قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه أيٍّ من سور القرآن؛ وهي وإن كانت قليلة المباني فإنها عظيمة المعاني، ولذلك لم ينزل في الكتب السابقة مثلها، وأن لها أسماء كثيرة وذلك لشرفها وفضلها وعلو قدرها، وقد أوردت الدراسة أبرز ما ثبت لها من أسماء وفضائل ومقاصد.

٢-أن الاستعاذة تُشْرَعُ عند التلاوة وهي ليست آية من القرآن إجماعًا.

٣-أن البسملة آية في أول كل سورة لأن كل ما بين دفتي المصحف قرآنٌ، وذلك بإجماع الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، وهم جميعًا على إثباتها في المصحف أول كل سورة عدا سورة براءة، لأنها نزلت بالسيف ولا يتناسب معها البسملة، مع الأمر بتجريد القرآن من كل ما ليس منه، ومن ثم لم يكتبوا (آمين) في آخر الفاتحة، كما أنها جزء آية مستقلة من سورة النمل.

٤-لم يرتفع الخلاف لدى الباحث في قرآنية البسملة في الفاتحة خاصة-نفيًا أو إثباتًا-من خلال تلك الدراسة، وذلك لأنه خلافٌ معتبرٌ له قدره من حيث قوة أدلة الفريقين.

٥-عدم تكفير أو تفسيق من نفى قرآنية البسملة في الفاتحة خاصة لكون الخلاف في إثباتها معتبرًا، بخلاف ما لو أنكر شيئًا من القرآن مجمعًا عليه ولو حرفًا واحدًا أو أثبت فيه ما ليس منه ولم يقل به أحدٌ، فقد كفر إجماعًا.

٦-جعل بعض أهل العلماء الاختلاف في قرآنية البسملة، كاختلاف أئمة القراءات في بعض الكلمات والحروف، فقد يَثبُتُ بعضُها في قراءة أو رواية، وقد لا يَثبُتُ في غيره، وهذا قول معتبرٌ له قوته وتوجهه.

٧-أن البسملة يُسَرُّ بها في الصلاة.

٨-وأن التأمين يُجهرُ به ويُشرعُ ذلك عند ختم قراءة الفاتحة وهو ليس بآية منها.

٩-أن عدد آيات الفاتحة سبع آيات وذلك إجماعًا، وإنما وقع الخلاف في الآية التي تكون بها سبعًا.

١٠-أن في عدد كلمات الفاتحة خلافٌ مشهور.

١١-أن أبرز موضوعات السورة هي: العقيدة وبيان التوحيد بأقسامه الثلاثة، وبيان مكانة العبادة والاستعانة والهداية، وإثبات النبوة والرسالة والبعث بعد الموت والجزاء، وأحوال وأخبار الأمم السابقة وبيان منازل السعداء والأشقياء.

١٢-أنه في ضوء بحث «المعنى الإجمالي للسورة الكريمة» تبين أن ما فُصِّلَ في القرآن أُجْمِلَ فيها لذا سميت «أم القرآن»، وأن فضائلها أكثر من أن تحصى.

١٣-أن تلك الدراسة لم تقف على سبب نزول للسورة ثابت صحيح، وأما ورد في سبب نزولها فسنده منقطع، ويتضح من جراء ذلك أنها نزلت للهداية ابتداءً كالكثير من سور القرآن الكريم، وأنها نزلت بمكة جملة واحدة، وأنها سورة محكمة لا ناسخ فيها ولا منسوخ.

١٤-أن علم المناسبات علمٌ معتبرٌ شرعًا له أسسه وقواعده، ومتى ظهرت المناسبة والموضوع وأُلتُزِمَت فيه الشروطُ والضوابطُ المعتبرةُ بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ فلا مانع من القول والأخذ به.

١٥-وأنه علم يعين على إبراز أوجه الصلة والتناسب بين السور والآيات ويقرب فهم معاني القرآن وبيان مقاصده ومراميه، لمفسره وقارئه ومتدبره وتاليه.

١٦-ويعين أيضًا-على إدراك الحكمة من التشريع والترابط بين أحكام الشريعة في كل جوانبها.

١٧-أن سورة الفاتحة لما حوت آياتُها السبع مقاصدَ القرآنِ الكريم وكلياته مع ما اشتملت عليه ومع مالها من المكانة والقدر ناسب افتتاح القرآن الكريم بها.

١٨-تبين من خلال تلك الدراسة أن هناك أوجه من التناسب بين سورة الفاتحة وتاليتها وهي سورة البقرة.

١٩-ومن خلال تلك الدراسة-أيضًا-تبين الترابط النصي بين آيات السورة الكريمة وكأنها منظومة واحدة في الوحدة الموضوعية ولاسيما في عرض قضية التوحيد وعلاقتها بمحور السورة الكريمة.

٢٠-ومن خلال تلك الدراسة-أيضًا-تبين العلاقة الوطيدة بين سورة الفاتحة وهي من السور المفتتحة بالحمد وبين مثيلاته من السور المفتتحة بالحمد كذلك.

ثانيًا: بيان لأهم توصيات الدراسة

١-توصى تلك الدراسة بالعناية بكتاب الله تعالى تعلمًا وتعليمًا، وتدبرًا ومدارسة ولاسيما فيما يتعلق بتفسيره وتأويله، كما توصي كذلك بتحكيمه والتحاكم إليه، والتداوي به من كل العلل حسيّها ومعنويّها، واتخاذه شرعةً ومنهاجًا لكل جوانب الحياة لتسعد به البشرية كما سعد به الرعيل الأول من صدر هذه الأمة.

٢-كما توصي الدراسة بالعناية بمدارسة فاتحة الكتاب خصوصًا، لأن ما فُصِّلَ في القرآن أُجْمِلَ فيها، كما توصي-كذلك- باستخراج ما بها من علوم والاستفادة من مقاصدها ومراميها وما اشتملت عليه وحوته من موضوعات.

والتي من أجلها وأجمعها وأبينها ما يلي:

أ-التوحيد ووجوب تحقيقه ولزومه مع تجنب كل نواقضه المفضية إلى الشرك بالله تعالى، وبذلك يتحقق للعبد كمال العبودية وينال سعادة الدارين.

ب-حمد الله تعالى وتمجيده وإجلاله وتعظيمه بالثناء عليه سبحانه بما هو أهله وبما له من أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلى.

جـ- تذكر المعاد، وهو يوم الدين، وإعداد العدة لهذا اليوم العظيم الذي يُدان فيه الأولون والآخرون بما قدمت أيديهم، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

د- إخلاص الدين لله تعالى وحسن القصد في إفراده تعالى بالألوهية (عبادة، واستعانة) تضرعًا إليه سبحانه وافتقارًا، وذلًا له سبحانه ولكبريائه وعظمته وخضوعًا، وتبرؤًا من كل حولٍ وقوةٍ، وتنزيهًا لله سبحانه وتعالى عن الشريك والشبيه والند والنظير والمثيل.

هـ -الإلحاح على الله في طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو دين الله القويم المتضمن للعلم النافع والعمل الصالح، وسؤاله سبحانه الثبات عليه حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم يوم القيامة، المؤدي إلى موعود الله والمفضي بهم إلى النعيم المقيم في جنات النعيم بجوار الرب الكريم.

و-الحرص على الأعمال الصالحة والوصية والترغيب في الإكثار من الباقيات الصالحات والحرص على صحبة الصالحين ليكون العبد بذلك يوم القيامة في صحبة المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ز-التحذير من مسالك سبل أهل الغواية ممن غضب الله عليهم كاليهود، وممن أضلهم كالنصارى، وكل من سار على نهجهم واقتفى آثارهم واتبع سبيلهم، لئلا يُحْشَر في زمرتهم.

ثالثًا: خاتمة البحث

فإن الباحث في ختام بحثه يحمد ربَه الكريمَ الرحمن ذا الجود والإفضال والإكرام والإنعام على ما أنعم به وأولى على عبده الضعيف الفقير، ويسر له من جمعٍ لكلام أولى العلم من أئمة التفسير وسادات التأويل والتحبير، فجمع من نفائس استنباطهم وتأويلهم وعلمهم الغزير، وكأنه يَسمع صريرَ أقلامهم كما يُسمعُ خريرُ الماءِ العذبِ النمير في يوم مطير، ولكأنه يشم من مدادهم أقلامهم أطيب مسك وأحسن عنبر وأزكى رحيق وعبير، ولكأنه يلمس من ثنايا تأويلهم وفسرهم ملمسًا لينًا طيبًا كملمس الناعم من الحرير، وقد أفاد من تأويلهم وفسرهم كما يُفادُ من ثمر النخل بعد التأبير، بداية من شيخ المفسرين الإمام ابن جرير، ومرورًا بالحافظ ابن كثير، وحتى الشوكاني صاحب فتح القدير، وغيرهم من أهل العلم وأئمة التأويل والتفسير، وختامًا بالشنقيطي صاحب أضواء البيان ذاك العالم النحرير، فرحم الله علماءَ الأمةِ قاطبةً وكلَ أئمةِ التفسير ويُخصُ منهم كلُ عالمٍ عَلَمٍ حَبرٍ وإمامٍ نحرير سار على السنة والجماعة وأثبت لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ البشير النذير من الأسماء الحسنى والصفات العلى بلا تأويل، ولا تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تبديل ولا تغيير، قال ربنا الحكيم الخبير:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)﴾ [الشورى].

وموضوع الفاتحة الرئيس هو التوحيد الذي هو حق الله في رقاب جميع العبيد، والذي به حبل النجاة لمن حققه وعمل واستمسك به في يوم الوعيد، فصاحبه يَنال الأمن في الدنيا والآخرة فقولُهُ سليمٌ سديد، وعَمَلُهُ كذلك صالحٌ رشيد، والذي يطمع أن ينجو به من النار والعذاب الشديد، ويسلك به أعالي الجنان وقد حُرِمَ منها كُلُّ جبار كَفَّارٍ عنيد، يوم يأمر الجبار سبحانه زبانية جهنم فيقول لهم: ﴿ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) ﴾ [ق] وقد وعد سبحانه بملئها فيقول لها: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾[ق].

والباحث قد بذل ما يملك من الجهد والأوقات لإتمام بحثه على وجه يرجو به رضا رب البريات، وينال به رحمته في الدنيا ويوم الحسرة والفوات، فلم يبخل ببذل اللحظات والساعات في تحرير بحثه ولَمّ شمل كلماته وجمعها بعد شتات، والبحث في القرآن عمومًا وفي الفاتحة خصوصًا يحتاج لبذل جهود وأعمار وأوقات، ومع ذلك لا يمكن لأحدٍ أن ينال كل وطره ومأربه ومطلبه منها لعظم مقاصد ومرامي آياتها وما شملته من العلوم وما حوته من العبر والعظات، ولما حوت بين ثنايا آياتها من التناسق النصي والوحدة الموضوعية المتضمنة لتوحيد وعبودية رب البريات.

والنقص وصف بشري يعتري عموم الخلق قاطبة وإن ادعوا الكمالات، إلا رسل الله وأنبيائه، وأكملهم من ختمت به النبوات وببعثته الرسل وجميع الكتب والرسالات، عليهم من الله جميعًا أفضل الصلوات وأطيب التسليمات والتبريكات، والبحث ما يزال يحتاج لجهود وعقول وقلوب أصحاب الهمم العالية والنفوس الزاكية الراغبة فيما عند رب الأرض والسماوات من الفضل والرفعة والمكانة وعلو الدرجات.

وأخيرًا فهذه دعوة لجميع الباحثين والباحثات للتنافس في قربى لله من أعز وأنفس القربات لتقديم البحوث العلمية والأطروحات في بيان معاني ومرامي ومقاصد فاتحة الكتاب طمعًا في الفوز غدًا بأعالي المنازل في غرفات الجنات.

ولقد صَدَقَ القاضي الفاضل عبد الرَّحيم بن عليّ البيسانيّ لما قال:

«إنِّي رأيتُ أنَّه لا يكتُبُ إنسانٌ كتابًا في يومِه؛ إلاَّ قالَ في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسنَ، ولو زِيدَ كذا لكان يُستَحسَنُ، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أجملَ. هذا مِنْ أعظَمِ العِبَرِ، وهو دليلٌ علَى استيلاءِ النَّقصِ علَى جُملةِ البَشَرِ»(٣١٣).

ومسك الختام مع كلمات معبرات وحروف مؤثرات انطلقت من قلب وعقل إمام عالم عَلَم، وحبر همام ناصح للبريات، ما يزال قدوة للأنام، على مرّ الأيام والسنوات، ألا **وهو ابن القيم رحمه الله تعالى حيث يقول ويسطر هذه الكلمات:**

«فيا أيها الناظر فيه، لك غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك، وبنات أفكاره تُزفّ إليك، فإن صادفت كفئًا كريمًا، لم تعدم منه إمساكًا بمعروف، أو تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره، فالله المستعان، وعليه التكلان، وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولًا وإحسانًا، وبرد جميل إن كان حظها احتقارًا، واستهجانًا، والمنصف يهب خطأ المخطئ لإصابته، وسيئاته لحسناته؛ فهذه سنة الله في عباده جزاءً وثوابًا، ومن ذا الذى يكون قوله كله سديدًا وعمله كله صوابًا؟ وهل ذلك إلا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، ونطقه وحي يوحى؟: فما صح عنه فهو نقل مُصَدَّقٌ عن قائل معصوم، وما جاء عن غيره فثبوت الأمرين فيه معدوم، فإن صح النقل لم يكن القائل معصومًا، وإن لم يصح لم يكن وصوله إليه معلومًا»(٣١٤).

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله الذي وحده علا: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى (٥) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (٦) وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (٨) ﴾[طه:٥-٨]، وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه أولي العلم والحلم والنُّهى، أولي البرِّ والإحسان والصبر والتُّقى، وسلم اللهم تسليمًا كثيرًا كثيرًا ليس له عدد ولا منتهى.

أملاه

العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورحمته

عَرَفةُ بْنُ طَنْطَاوِيّ

وانتهى من تحريره في مدينة الرياض

في: ١٤٤٢/١٠/١٤هـ

البريد: arafatantawy@hotmail.com **– واتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٣٧٢٢١٥٣**

---

(٣١٣) كان الأُستاذ أحمد فريد الرِّفاعي (ت ١٣٧٦ هـ) هو الَّذي شهَّر هذه الكلمةَ؛ حيث وضعها أوَّلَ كلِّ جزء من أجزاء مُعجم الأدباء لياقوت الحمويّ، وغيره من الكُتب، وتداولَها النَّاس عنه منسوبةً إلى العماد الأصفهانيّ!! والصَّواب نسبتُها للقاضي الفاضل، بعثَ بها إلى العماد؛ كما في = أوَّل شرح الإحياء للزَّبيديّ (٣/١)، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدِّين محمد بن أحمد النهر والي الحنفيّ (ت ٩٨٨ هـ) نقلًا عن كتاب إعلام العابد في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد، للشيخ/ مشهور بن حسن بن سلمان: (ص٧)، دار المنار-الخرج، (ط٢).

(٣١٤) تضمين من آخر مقدمة ابن القيم لكتابه روضة المحبين ونزهة المشتاقين(ص: ٢٨).

مجموع الفهارس

أ-فهرس المراجع

١-تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) عدد الأجزاء: ٢٠ الناشر: دار الفكر -بيروت الطبعة: الأولى /١٤١٤ هـ.

٢-تناسق الدرر في تناسب السور الحافظ جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين خضر الخضيري الأسيوطي، المشهور باسم جلال الدين السيوطي، (القاهرة ٨٤٩ هـ/١٤٤٥ م-القاهرة ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) -مخطوط-المكتبة الأزهرية.

٣-تمام المنة للألباني (١٦٩)، تمام المنة في التعليق على فقه السنة المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: دار الراية الطبعة: الخامسة عدد الأجزاء: ١.

٤-تيسير العزيز الحميد (الطبعة السابعة)، بيروت: المكتب الإسلامي. -سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٥-التأمين عقب الفاتحة في الصلاة (حكمه وصفته):د/عبد الله بن إبراهيم الزاحم، بحث من مجلة الجامعة الإسلامية: العدد (١٢٥).

٦-التبيان في تفسير غريب القرآن -شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري -دار الصحابة للطباعة ط١ ١٩٩٢ م.

٧-التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لصدر الشريعة الحنفي: ط: محمد على صبيح: القاهرة-السعد التفتازاني-(د.ت).

٨-التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ط. المنهاج)؛ المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي؛ المحقق: الصادق بن محمد بن إبراهيم؛ حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة؛ الناشر: دار المنهاج؛ سنة النشر: ١٤٢٥؛ عدد المجلدات: ٣؛ رقم الطبعة: ١؛ عدد الصفحات: ١٥٣٩.

٩-تفسير الألوسي-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت الطبعة: الأولى،١٤١٥هـ عدد الأجزاء: ١٥ (ومجلد فهارس).

١٠-تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م عدد الأجزاء: ٨:

١١-تفسير البيضاوي-أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الأولى -١٤١٨ هـ.

شبكة الألوكة www.alukah.net

١٢-تفسير الواحدي-الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو الحسن علي ابن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوودي دار النشر: دار القلم، الدار الشامية -دمشق، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ عدد الأجزاء :١.

١٣-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.

١٤-تفسير أضواء البيان للشنقيطي: -أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، دار الفكر، سنة النشر: ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: تسعة أجزاء.

١٥-تفسير ابن الجوزي-زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة: الأولى -١٤٢٢ هـ.

١٦-تفسير الزمخشري-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة: الثالثة -١٤٠٧ هـ عدد الأجزاء: ٤.

١٧-تفسير ابن عطية-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى -١٤٢٢هـ.

١٨-تفسير ابن عاشور-التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر-تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ عدد الأجزاء: ٣٠(والجزء رقم ٨ في قسمين).

١٩-تفسير البغوي-معالم التنزيل: البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧هـ.

٢٠-تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، عدد الأجزاء: ٢٠ جزءا (في ١٠ مجلدات).

٢١-تفسير السيوطي-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٢-جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن علم الدين، دراسة وتحقيق: عبد الحق عبد الدايم سيف القاضي، أصل الكتاب رسالة دكتوراه بإشراف: د/ محمد سالم المحيسن، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٩ م، عدد الأجزاء:2.

شبكة الألوكة www.alukah.net

٢٣-العزفُ على أنوار الذِّكر-معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة-محمود توفيق محمد سعد: أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر-شبين الكوم-١٤٢٤هـ. (٥٧/١). - (غير مطبوع).
٢٤-العجاب في بيان الأسباب-المؤلف :أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) المحقق :عبد الحكيم محمد الأنيس-الناشر: دار ابن الجوزي-عدد الأجزاء:٢.
٢٥-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة-دار الرشيد ومؤسسة الإيمان-المؤلف: محمود صافي الناشر:دار الرشيد - مؤسسة الإيمان رقم الطبعة: ٣ — ١٤١٦هـ-١٩٩٥م-طبعة مزيدة بإشراف اللجنة العامة بدار الرشيد عدد المجلدات: ١٦.
٢٦-زاد المعاد في هدي خير العباد-المؤلف :محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت-مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة :السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م-عدد الأجزاء :٥.
٢٧-السنن الكبرى، النسائي: أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه، شعيب الأرناؤوط، قدم له :عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة — بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ -٢٠٠١ م.
٢٨-صفحات في علوم القراءات: المؤلف: د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي الناشر: المكتبة الأمدادية الطبعة: الأولى-١٤١٥ هـ عدد الأجزاء: ١. (٣١١/١-٣١٤). بتصرف يسير جدًّا.
٢٩-صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ضبطه ورقمه مصطفى ديب البغا-ط٣-دار ابن كثير-دمشق-بيروت-١٤٠٧هـ.
٣٠-الطحاوية-شرح العقيدة الطحاوية المؤلف :صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد بن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق :جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين) الطبعة :الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م-عدد الأجزاء: ١..
٣١-عرفة بن طنطاوي، معالم التوحيد في فاتحة الكتاب، دراسة "تحليلية موضوعية"، رسالة دكتوراه، المؤلف/ عرفة بن طنطاوي، وهي أطروحة علمية نال بها الباحث درجة "الدكتوراه" بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والوصية بالطبع والتداول بين الجامعات. الناشر: دار المأثور، المدينة النبوية، تاريخ النشر: ١٤٤١هـ، عدد الصفحات:٥٥٠صفحة، عدد المجلدات:١.
٣٢-عرفة بن طنطاوي-عناية الإسلام بتربية الأبناء بتربية الأبناء كما بينتها سورة لقمان-رسالة ماجستير -الجامعة الإسلامية العالمية-القاهرة.(١٤٣٧هـ).
٣٣-غريب القرآن المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) المحقق: أحمد صقر الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية) السنة: ١٣٩٨هـ -١٩٧٨م.
٣٤-فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر: الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني -راجعه: قصي محب الدين الخطيب -دار الريان، القاهرة -الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.

٣٥-فتح القدير: الجامع بين فني الرواية والدراية، الشوكاني: محمد بن علي ابن محمد الشوكاني، دار المعرفة، سنة النشر: ١٤٢٣هـ -٢٠٠٤م، عدد الأجزاء: جزء واحد.

٣٦-فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء-بالمملكة العربية السعودية، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد للنشر والتوزيع-الرياض، ١٤٢٤هـ، ط٢، عدد المجلدات:٢٣.

٣٧-القاموس المحيط، الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، ط١.

٣٨-لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر :دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ-عدد الأجزاء:١٥.

٣٩-مجموع فتاوى العلَّامة عبد العزيز عبد باز رحمه الله المؤلف :عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر-عدد الأجزاء ثلاثون جزءًا.

٤٠-مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين -المؤلف :محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) جمع وترتيب :فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان-الناشر :دار الوطن -دار الثري-الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ-عدد الأجزاء:٢٦.

٤١-معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول-المؤلف :حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى:١٣٧٧هـ) المحقق :عمر بن محمود أبو عمر-الناشر: دار ابن القيم – الدمام-الطبعة :الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م-عدد الأجزاء٣.

٤٢-مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملَّا علي القاري: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملَّا الهروي، دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: ٩.

٤٢-مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، الجاوي: محمد بن عمر نووي، تحقيق محمد أمين الصناوي، دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٧ هـ عدد الأجزاء:٤.

٤٣-مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور؛ المؤلف: إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي برهان الدين أبو الحسن؛ المحقق: عبد السميع محمد أحمد حسنين؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: مكتبة المعارف؛ سنة النشر: ١٤٠٨هـ م-عدد المجلدات: ٣؛ رقم الطبعة: ١.

٤٤-لموافقات المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان الناشر: دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ٧.

٤٥-مباحث في التفسير الموضوعي-المؤلف :مصطفى مسلم-الناشر :دار القلم-الطبعة :الرابعة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م عدد الأجزاء :١.

٤٦-منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦ م.

٤٧-مدارج السالكين: الإمام ابن قيم الجوزية -تحقيق: محمد حامد الفقي -دار المعرفة، بيروت -الطبعة الثانية، ١٣٥٩ هـ.

٤٨-مجموع الفتاوى، ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، ط٣.

٤٩-المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، . تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية — دمشق بيروت-١٤١٢ هـ.

٥٠-معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر،١٣٩٩هـ -١٩٧٩م، عدد الأجزاء:٦.

٥١-نيل الأوطار المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي-الناشر:دار الحديث، مصر الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ -١٩٩٣م-عدد الأجزاء :٨.

ب- فهرس الموضوعات

دِيْبَاجَةُ البَحْثِ ٤
ملخص البحث ٦
خطة البحث ٧
أولًا: أهمية موضوع البحث ١٠
ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها ١٠
وصف الدراسة: ١١
ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث ١٥
رابعًا: أهداف البحث: ١٦
خامسًا: منهج البحث ١٦
الفصل الأول بين يدي السورة الكريمة ١٧
أولًا: مفهوم الاستعاذة ومعناها ١٧
ثانيًا: مفهوم الشيطان ومعناه ١٨
ثالثًا: ذكر بعض ثمار الاستعاذة: ١٩
المطلب الثاني: البسملة وأحكامها ٢١
أولًا: بيان ومفهوم معنى البسملة ٢١
ثانيًا: هل البسملة آية من الفاتحة ٢٣
ثالثًا: حكم الجهر بالبسملة ٢٨
المطلب الثالث: التأمين بعد الفاتحة وأحكامه ٣١
أولًا: مفهوم التأمين ٣١
ثانيًا: فضائل التأمين ٣٣
ثالثًا: المراد بموافقة الملائكة في التأمين ٣٤
المبحث الثالث: ٣٩
عدد آياتها وكلماتها وحروفها: ٣٩
المطلب الأول: عدد آياتها: ٣٩
المطلب الثاني: بيان محور مواضيع السورة تفصيلًا: ٤٥
وقوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ متضمن لتوحيد الأسماء والصفات ٤٦
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾: ٤٨
المطلب الثالث: بيان المعنى الإجمالي للسورة ٤٩
وقوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ٥٣

وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:..... ٥٦
فقَوْلُهُ: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ ﴾..... ٥٩
الكلام حول قول آمين بعد انتهاء السورة:..... ٦١
الفصل الثاني المناسبات في السورة الكريمة..... ٧١٧١
المطلب الأول: علاقة إعجاز القرآن وبلاغته بعلم المناسبات..... ٧١
المطلب الثاني: مفهوم علم المناسبات في اللغة والاصطلاح..... ٧٣
المطلب الثالث: فوائد وثمار معرفة علم المناسبات..... ٧٣
المطلب الرابع: موقف العلماء من علم المناسبات..... ٧٤
المطلب الخامس: مناسبة افتتاح القرآن الكريم بسورة الفاتحة..... ٧٦
المبحث الثاني:..... ٧٨
مناسبة سورة الفاتحة مع تاليتها وبيان أوجه المناسبة بين السورتين..... ٧٨
المطلب الأول: المناسبة بينهما في مطلع السورتين..... ٧٨
المطلب الثاني: التناسب العام بين محتوى السورتين الكريمتين..... ٨١
المبحث الثالث: مناسبة آيات سورة الفاتحة مع بعضها البعض..... ٨٣
المطلب الأول: المناسبة في مطلع السورة..... ٨٣
المطلب الثاني: مناسبة قوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ بالآية السابقة لها وهي قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾: ٨٣
المطلب الثالث: مناسبة قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾..... ٨٤
المطلب الرابع: مناسبة قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ بالآية السابقة وهي قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾:..... ٨٥
المطلب الخامس: مناسبة قوله: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾. بالآية السابقة وهي قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. ٨٦
المبحث الرابع: علاقة السورة الكريمة بالسور المفتتحة بالحمد لله:..... ٨٨
المطلب الأول: ترتيب السور المفتتحة بالحمد لله..... ٨٨
المطلب الثاني: بيان بعض أوجه المناسبة بين السور المفتتحة بالحمد..... ٨٨
المطلب الثالث: العلاقة الخاصة بين الفاتحة وبين كل سورة من تلك السور المفتتحة بالحمد..... ٩٠
أبرز النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة وتوصيات البحث وخاتمته..... ٩٧
ثالثًا: خاتمة البحث..... ١٠٠
مجموع الفهارس..... ١٠٢
ب- فهرس الموضوعات..... ١٠٧

المركز في سطور

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله ومن والاه.

وبعد:

فإنَّ شرف العلم من شرف المعلوم، وشرف كل علم بشرف متعلقه، وعلوم القرآن متعلقة بأشرف كتاب ألا وهو كتاب الله تعالى، ولذا تُعَدُ علومُ القرآن من أجلّ العلوم؛ بل ومن أشرفها وأبركها وأعلاها قدرًا وأزكاها، وأعظمها أثرًا ونفعًا، والبشرية عمومًا والأمة خصوصًا لها أكثر احتياجًا على مر العصور والأزمان؛ وذلك لمسيس الحاجة لفهم معاني آي التنزيل، وإيضاح غريب ومبهم القرآن، وبيان مقاصده وأحكامه، وبيان دلائل هداياته، والجواب عن تساؤلاته، وبيان مجمل معاني آياته.

* وأهل هذا العلم نالوا شرفًا مرومًا، وعلوَ قدرٍ وشأنٍ، ورفعةَ مكانةٍ، وسموَ رتبةٍ؛ إذْ جعلهم اللهُ مرجعًا للعباد في الدلالة على إيضاح المراد من كلامه سبحانه وتعالى، وأي شرف يعدل هذا الشرف!

* ولا شك أن هذا من أعظم الدوافع وأعظم المطالب الداعية للتنافس في بذل العمر النفيس والوقت الغالي العزيز لنيل أعظم المراتب وأشرف الأماني، وهذا مما يعين على البذل والتضحية في التنقيب والبحث في علوم القرآن بعلو همةٍ وإقبالِ نفسٍ لتحقيق تلك الرتب العالية، والفوز بالمكانة الرفيعة السامية، ونيل تلك المآرب الشريفة الغالية.

* هذا مع ما يمن الله به على من اشتغل بهذا العلم الشريف من التعلق بكتاب ربه وعمارة وقته وحياته به، وينزّل الله عليه من السكينة والطمأنينة وشآبيب الرحمة، مع ما يورثه ربُهُ من انشراحٍ لصدره وطمأنينة لنفسه وتزكية لفؤاده وصلاح في معاشه، مع ما أعده له من جزيل عطائه وجزيل ثوابه في معاده، هذا مع ما يعود نفعه لعباده ببيان وإيضاح معاني تأويل كتابه والكشف عن أسرار تنزيله وبيان معاني آياته.

قال سبحانه في شأن كتابه:

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* ومركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية يسعى لتقديم أهم مباحث علوم القرآن الكريم في ثوب قشيب وحلل زاهية بتقريب معاني تلك الدراسات وتسهيلها وتقديمها بأسلوب سهل التناول قريب المأخذ سهل المنال يتناسب مع عموم المسلمين، مع ما ينهجه في ذلك من الأسلوب العلمي وطريقة البحث المنهجي التربوي الذي يفيد الباحثين المختصين.

* كما أن من أبرز أهداف المركز وأجلّها العناية بمنهج وعقيدة أهل السنة والجماعة في كل ما يقدمه، مع تفنيد العقائد والمناهج المخالفة لمنهج الفرقة الناجية الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ـ أهل السنة والجماعة.

* تلك هي أبرز الدوافع الداعية لتأسيس مركز تأصيل علوم التنزيل للبحوث العلمية والدراسات القرآنية، لخوض البحث والتنقيب عن علوم القرآن وتقديمها للمسلمين عمومًا وللباحثين المختصين خصوصًا؛ وذلك لتعلقها بأشرف وأعظم وأجلّ كتاب ينبغي أن تبذل من أجل فهمه وتدبره والعمل به والتحاكم إليه والتداوي به، الهمم العوالي والمهج الغوالي والعمر النفيس الغالي.

* كما يسعى المركز فيما يقدمه من بحوث علمية بتخريج الأحاديث النبوية وعزوها لمصادرها الأصلية والحكم عليها، عدا ما كان في الصحيحين لتلقي الأمة لهما بالقبول، وتنقية البحوث من الأحاديث المكذوبة والموضوعة والضعيفة قدر الممكن والطاقة.

* كما يسعى المركز كذلك في تقديم مادة علمية خالية من البدع والمحدثات والخرافات والإسرائيليات وكل ما علق بمصنفات علوم القرآن من كل ما لا يمت بدين الله وشرعه المطهر بصلة، ومن كل ما يخالف منهج أهل السنة والجماعة عقيدةً، وشريعةً، ومنهاجًا، قدر الممكن والطاقة والإمكانات المتاحة.

المشرف العام

من إصدارات المركز

موسوعة
" تأصيل علوم التنزيل"

وَهَذِه ضِمْن مُؤَلَّفَات العَبد الضَعيف الفَقير إلى عَفْو رَبِّه وَرَحْمَته وَمَغْفِرَته:

عرفة بن مصطاوي

عَفَا اللَّهُ عَنْهُ

الرَّئيسُ العَامُ لِمَرْكَز تَأْصِيل عُلوم التَنْزِيل للبُحُوث العِلْمِية وَالدِّرَاسَات القُرآنِية

وها هي مرتبة على النحو التالي:

١- مَعَالِمُ التَّوْحِيد في فَاتِحَة الكِتَاب- (دراسة تحليلية موضوعية)، (رسالة دكتوراه)
(مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٤١هـ)

٢- عِنَايَةُ الإِسْلاَم بِتَرْبِيَة الأَبْنَاءِ كَمَا بَيَّنَتْهَا سُورَةُ لُقْمَانَ، (دراسة تحليلية موضوعية) في مجلدين (رسالة ماجستير)

٣- التقرير لأصول وقواعد علم التفسير - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٤- تعليم المتعلمين طرق ومناهج المفسرين - مقرر دراسي"دراسات عليا"

٥- المدخل الموسوعي لدراسة التفسير الموضوعي - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٦- المنهج التأصيلي لدراسة التفسير التحليل - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٧- دلائل التوفيق لأصح طريق لجمع الصديق - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٨- الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيِّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَة في (مجلدين) وهذا البحث يعُد موسوعة علمية مستقلة.

٩- أَحْسَنُ المَنَاحِي في إِثْبَاتِ أَنَّ الرَّسْمَ العُثْمَانِي تَوْقِيفِي لاَ اصْطِلاَحِي

١٠- الفتح الرباني في دلائل الإعجاز البياني - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١١- صِيَانَةُ كَلاَمِ الرَّحْمَنِ عَنْ مَطَاعِنِ أَهْلِ الزَّيْغِ والرَّوَغَانِ - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٢- موقف علماء الشيعة الإمامية من المصاحف العثمانية - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٣- الذَّهَبُ الإِبْرِيزُ في خَصَائِصِ الكِتَابِ العَزِيز

١٤- جَنَى الخُرْفَة في إبطال القول بالصَرْفَة - مقرر دراسي "دراسات عليا"

١٥- آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ في إِعْجَازِ القُرْآنِ في إِخْبَارِه عَنْ المُغَيَّبَاتِ (دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ)

١٦- التِّبْيَانُ في بَيَانِ وُجُوهِ الإِعْجَازِ التَّشْرِيعِيِّ في القُرْآن

١٧- إيجاز القول في الإعجاز

١٨- التحدي في القرآن

١٩- صَحِيحُ المَنْقُولِ المُوَافِقُ لِصَرِيحِ المَعْقُولِ في مُنَاقَشَةِ ثَلاَثَةِ تَفَاسِيرَ رُتِّبَتْ عَلَى تَرْتِيبِ النُّزُول.

٢٠- **البُرْهَانُ في حَقِيقَةِ حُبِ النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ وَأَصْحَابِهِ لِلقُرْآنِ**

٢١- **إِتْحَافُ أَهْلِ الإِيمَانِ بِدِرَاسَةِ الجَمْعِ الصَّوْتِي لِلقُرْآنِ** "الجَمْعُ الرَّابِعُ لِلقُرْآنِ الكَرِيمِ"- تَارِيخٌ- وَأَحْدَاثٌ - وَقَائِعُ- وَأَحْكَامٌ - "دِرَاسَةٌ تَأْرِيخِيَّةٌ تَأْصِيلِيَّةٌ"

٢٢- **آفَاتٌ وَمُعَوِقَاتٌ فِي طَرِيقِ التَّسْجِيلِ الصَّوتِي لِلقُرْآنِ**

٢٣- **بُلُوغُ المَرَامِ فِي قِصَّةِ ظُهُورِ أَوَّلِ مُصْحَفٍ مُرَتَّلٍ فِي تَارِيخِ الإِسْلَامِ**

٢٤- **تَوْجِيهُ أَهْلِ الإِيمَانِ لِضَوَابِطِ تَسْجِيلِ القُرْآنِ**

٢٥- **الكَوَاشِفُ الجَلِيَّةُ فِي حُكْمِ قِرَاءَةِ القُرْآنِ بِالمَقَامَاتِ المُوسِيقِيَّةِ**

أو: فصل النزاع بين التغني بالقرآن وتلاوته بـ "مقامات الشيطان"

٢٦- **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**

٢٧- **التَّبصرَة لمن أراد بتعليم القرآن وجه الدار الآخرة** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور- بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٢٨- **تَبْصِرَةُ أُولِي الأَلْبَابِ بِمَعَانِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ** - مقرر دراسي "دراسات عليا"

٢٩- **كَشْفُ الوَقِيعَةِ فِي بُطْلَانِ دَعْوَى التَّقْرِيبِ بَيْنَ السُّنَّةِ وَالشِّيعَةِ**

٣٠- **التَّقِيَّةُ أَسَاسُ دِينِ الشِّيعَةِ الإِمَامِيَّةِ**

٣١- **قَطْعُ العَلَائِقِ لِلتَّفَكُّرِ فِي عُبُودِيَّةِ الخَلَائِقِ**

٣٢- **الآداب النبوية والأحكام الشرعية في عيادة المريض وعبادته** (مطبوع ومنشور عن دار المأثور-بالمدينة النبوية-١٤٣٧هـ)

٣٣- (**التوحيد من الكتاب والسنة**) (مفهومه ومعناه-حقائقه وفضائله-دلائله ونواقضه)

٣٤- **دليل الطالع والنازل في بيان حقيقة أعلى المنازل.** (إياك نعبد وإياك نستعين)

٣٥- **ألطف اللطائف في بيان سبل الثلاث طوائف:** (المنعم عليهم- المغضوب عليهم - الضالين)

٣٦- **أوضح البيان في حقيقة نبوة لقمان**

وغيرها من البحوث - قيد التنسيق- .

مركز تأصيل علوم التنزيل
للبحوث العلمية والدراسات القرآنية